مجلة البيان مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية
هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان – العدد 7 ، ذو الحجة 1407هـ / أغسطس 1987م

الافتتاحية

وأذن في الناس بالحج

((وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ العَتِيقِ)) [الحج /27-29].

منذ أن أمر الله خليله إبراهيم -عليه السلام- أن يهتف بالناس داعياً لهم إلى حج البيت؛ تتواصل جموع الحجيج من البشر ، جيلاً بعد جيل ، شاهدة على دعوة الأنبياء بالصدق ، وملبية نداء الله عز وجل . وإنها لمناسبة جليلة،وإنه لموسم عظيم؛أن يقف عشرات الألوف من المسلمين من شتى البلدان والأصقاع على صعيد واحد ، على هذه الأرض المباركة التي جعلها الله قبلة للعالمين..

وإذا أراد متحدث أو كاتب أن يستنبط عبرة أو حكمة من حكم الحـج ، ويجـعـلـهـا مـدار حديثه لما لها من دلالات وإشارات ، فإن هناك أمرين على غاية من الأهمية هما:

المكان ، والمغزى العام من هذه الشعيرة:

أما المكان: فـلأمـر مـا أمــر لله الـنـاس أن يحجوا إلـى هذا البيت، ويطوفوا حوله ملبين، متجردين ، رابطين الشعائر بالعقائد ، فهذا الحشر العظيم يوم الحج الأكبر يذكرهم بذلك المشهد العظيم الذي سيصيرون إليه ، والذي آمنوا به ابتداء وجعلوه غاية لأعمالهم ، ونهاية لمساعيهم.

ولأمر ما جعل الله هذا المكان مهبطاً لخاتمة رسالاته ، التي جاءت تؤكد كل معاني الخير والرحمة ما عرف منها قبل الإسلام وما لم يعرف ، وجعله كذلك مثابة للناس وأمناً ، يثوبون إليه من كل مكان ، وتهوي قلوبهم إليه من وراء المسافات :

((وإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وأَمْناً واتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وعَهِدْنَا إلَى إبْرَاهِيمَ وإسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ والْعَاكِفِينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ)) [البقر ة /125].

وعلى الأرض المحيطة بهذا البيت أورث الله رسوله محمداً -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام القيام على دعوة إبراهيم ، وأسند أولوية الانتساب إلى إبراهيم إلى خاتم الرسل وإلى من اتبعهم من المؤمنين.

((إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وهَذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا واللَّهُ ولِيُّ المُؤْمِنِينَ)) [آل عمران/68].

ومعنى هذا أن اليهود والنصارى الذين يدعون الانتساب إلى أبي الأنبياء إبراهيم ، دعواهم باطلة ، ويترتب على هذا البطلان انهيار الأساس المعنوي الذي يتحكمون فيه بشعوب الأرض ، ويغتصبون حقوقها تحت أي مبرر كان.
ولا نريد بكلامنا هذا أن نفرج عن همنا المكبوت بسب هؤلاء ، وبالتهجم عليهم من خلال الكتابة أو الخطابة ، وإنما نرمي إلى غرس المغزى من وراء ذلك في قلوب المؤمنين ، هذا المغزى هو الثقة بالنفس ، والاعتزاز العاقل الذي يدفع إلى العمل الجدي القائم على التفكير الهادئ ، والبعيد عن ثورة العواطف التي قد يثاب فاعلها على نيته ، ولكنها لا تؤدي إلى خروج من مأزق ، ولا تساعد على حل المشكلات ، هذا إذا لم تكن هي بدورها سبباً للفوضى والتخبط.
إن من المعاني التي تشير إليها الآية الكريمة : ((وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)) [البقرة 143] هو الوسطية المكانية التي ترتب مسؤولية ضخمة على أتباع هذه الرسالة التي انطلقت من هذا المكان ، ولقد حملت الأجيال المبكرة للمسلمين هذه المسؤولية بجدارة تثير الإعجاب ، وقدمت رسالة الإسلام للعالمين بكل ما تتضمنه من طهارة ، وعدالة ، وسماحة ، وحب للعلم وحرص على السمو ، وبُعد عن سفساف الأمور . ولا يزال حملهم هذه المسؤولية بقوة مثلاً أعلى لنا وشاهداً على تقصيرنا في هذا المجال ، مع أن الله لم يبخل علينا بالقدرات والإمكانات ، حاشاه عن ذلك سبحانه وتعالى.
إن أصحاب الفكر الغربي والقيِّمين على ترويجه يجعلون من بلادهم مركز العالم ومحوره ، فكل شيء منهم يبدأ وإليهم يعود ، بينما واقع العالم يكذبهم ويدحض دعاويهم وغرورهم ، بينما يتجاهلون من عداهم تجاهلاً مقيتاً ، وخاصة الإسلام والمسلمين ، ويرفضون الاعتراف بالحقائق الساطعة الواضحة ، ويسخرون كل الوسائل التي تعمل على تشويه الحقائق ، وغسل الأدمغة ، وأقرب مثال على ذلك ترويجهم هذه المصطلحات الرجراجة المائعة عندما يتحدثون عن قضايانا ، مثل : المسألة الشرقية ، والشرق الأوسط .. وما ذلك إلا لكي يصرفوا النظر عما لا يريدون أن يظهر.
أما المغزى العام من هذه العبادة فهو ما ينبغي أن يتفطن له المسلمون وخاصة الطبقة الفتية منهم ، والتي تقع عليها مسؤولية حمل عبء الدعوة الإسلامية في هذا العصر ، ونعني بذلك مبدأ الأخوة الإيمانية التي يجسدها الحج بأوضح صورة وكأنها عدم اعتراف عملي بكل ما فرق ويفرق المسلمين من الروابط العرقية والإقليمية واللغوية التي استغلها أعداء الإسلام بنجاح حتى الآن -مع الأسف الشديد- وضربوا بها وحدة المسلمين وعملوا على إثارة التناحر والشقاق الذي يضعف القوى ويزيل الشوكة.
ولا نريد أن نتبرأ من أسباب الضعف ونلقيها على الأعداء ، ولكن نقول :
إن العدو لا ينجح في تنفيذ خططه إذا لم يجد الأرض الصالحة لذلك ، وإذا لم يجد نقاط ضعف ينفذ من خلالها.

إن الواقع الإسلامي ، بما فيه من سلبيات كثيرة ، ومن مجالات تحتاج إلى علاج وإصلاح ليستثير الهمم ، ويستنهض العزائم ، من أجل التجديد والتغيير ، وإن ذلك من أبرز ما تشير إليه مناسبة الحج . ((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإنَّهَا مِن تَقْوَى القُلُوبِ)) [الحج / 32].

أيها الشوق قد ملكت عناني

شعر

عبد الله بن غالب بن حسن

العَقِيْلي اليماني العديني

هـيـج الــشـــوق للـبـيـان لـسـانـي	أيها الشوق قد مـلـكت عـنـانــي
مــن لـــي الآن والـبــيـــان بـنـأي	مــن يـرى الآن للبيان بـيــانــي
جـدّ في السير وامـتـطِ الريح وامضِ	واعـبـر الجـو والـبـحــار ثـواني
بـلـغ الـنـصح والـتـحــــيــــة أدِّ	وأسـنـد القول مـــن يفـاعِ يمـاني
يالـهـا الله كـم لـهـا الآن تــصـبـو	نـفــس حــر تجــاذبـتـها يــدان
كـم بها القـلـب مـغـرم حيـن تبدو	في سـنـا الشمس ليس فيها تـواني
صـادت الفـكـر والـعــقـــول بسحر	في اجتنا القول واقتضاب المـعاني
تـنـشـر الـعـلـم للـعــبـــاد وفـيــها	نفـحـة المسـك واختصار المـثـاني
تـرتـدي الـمــجـد والــسـمـــو بعزٍ	هـكــذا الـفـخـر فـلـتـعـش للزمان

إسرائيل .. والمفاعل النووي الباكستاني

فضيحة الجاسوس الإسرائيلي بولارد الذي كان يعمل في وكالة المخابرات الأمريكية جاءت تؤكد بأن اليهود لا يثقون بأحد ولو كان الولايات المتحدة الأمريكية ، وليس في قاموسـهـم شــيء اسـمــه الصداقة أو الثقة أو المحبة .. فرغم الأسرار التي تقدمها أمريكا لإسرائيل، ورغــم المساعدات المادية وغير المادية اكتشفت أمريكا بأن إسرائيل تتجسس عليها ، وتمد لها يد الصداقة وتطعنها في اليد الأخرى ، وهذا هو خلق اليهود في القديم والحديث. وكـشـفـت فضيحةٍ بولارد أسراراً مذهلة عن منطقة الشرق الأوسط .. ومنها أنه أرسل صوراً للمفاعل الذري العراقي ، وكانــت وكـالــة الـمـخـابرات الأمريكية قد التقطت هذه الصور بواسطة الأقمار الصناعية ، واعتمد الطيران الإسرائيلي على هذه الصور في تدميره للمفاعل الذري العراقي.

وقد تقول إسرائيل :

إن العراق يشكل خطراً عليها بسبب قربه من فلسطين المحتلة .. ولكن المسألة أكثر عمقاً ، فبعد ضرب المفاعل النووي العراقي بدأت إسرائيل تثير مسألة المفاعل النووي الباكستاني، وقبل بضعة أشهر ذكرت صحيفة

"جيروزيلم بوست" في تقرير لها أن إسرائيل اقترحــت على الهند ثلاث مرات شن هجوم مشترك لنسف المفاعل الباكستاني ، ولكن الهند رفضت العرض في كل مرة . [نشرت الصحف العربية تصريح جيروزيلم بوست في 23/2/87].

وهل صحيح بأن الهند لا تريد ضرب المفاعل النووي الباكستاني ، كما قالت الصحيفة ؟! لا نعتقد ذلك لأن اعتداءات الهند على باكستان لا تنتهي بدون مفاعل نووي ، فكيف مع وجود هذا المفاعل ؟!.

وقــد نـقـلــت الصحف ووكالات الأنباء غير مرة تهديدات رئيس وزراء الهند - راجيف غاندي- لباكـسـتان بسبب المفاعل النووي .. والعجيب أن هذا الذي يهدد باكستان يملك مــفـاعـــلاً نووياً وقد أجرت بلده تجارباً على القنبلة النووية ، فكيف يكون سلاحه برداً وسلاماً على البشرية ، وسلاح باكستان خطراً ودماراً ؟!.

ومن الذي أباح لأمريكا وروسيا وإسرائيل وعدد من دول أوربا امتلاك أسلحة نــوويـــــة، وجعله حراماً على باكستان وغيرها من الدول التي تدين شعوبها بالإسلام ؟!.

إن الهند تخطط لضرب المفاعل الباكستاني لكنها لا تريد أن تكون إسرائيل شريكة لــهـــا لأسباب لا يجهلها الذين سبروا غور سياسة حزب [غاندي] رغم تعاون الهندوس السري مع إسرائيل.

وعلى صــعــيـد آخـــر؛ فقد حركت إسرائيل أمها الحنون -أمريكا- لكي تقوم بدورها في الحملة الإعلامية ضـــــد باكستان ، ولكي تهيئ الرأي العام العالمي لأي تصرف ضد هذا الخطر المخيف الذي يهدد البشرية ، ونقلت وكالات الأنباء في 26 / 2 / 87 أن الولايات المتحدة حذرت باكستان من أن استمرارها في البرنامج النووي قد يؤدي إلى قطع المساعدات عنها ، وأثار السفير الأمريكي هذه المسالة في تصريح له جاء فيه :

»إن أي قرار تتخذه باكستان بإجراء تجربة نووية سيحمل الكونغرس على تجميد المساعدات ، وسيثير أزمة في العلاقات بين البلدين«.

والذي نراه أن إسرائيل سوف تستمر في كيدها ضد المفاعل الباكستاني ، وكذلك الهند تساندها روسيا والأولى تساندها الولايات المتحدة ، ولا يشفع لباكستان صداقة حكومتها مع أمريكا.

إن الدول الكبرى وإسرائيل والهندوس لا يقبلون أن يمتلك المسلمون سلاحاً نووياً ، وهم يعلمون بأن الحكومات تزول وتبقى الشعوب المسلمة ، وهذه الشعوب سوف تستخدم هذا السلاح إذا اعتدي عليها فهل تتكرر مأساة المفاعل العراقي في باكستان ؟ نسأل الله أن لا يكون الأمر كذلك.

الإسلام : أمل فلسطين

بعد عشرين عاماً على الهزيمة

بمناسبة مرور الذكرى العشرين لحرب حزيران 1967 حذرت الحكومة الإسرائيلية خطباء المساجد في مدن وقرى فلسطين من أن يشيروا إلى الاحتلال الإسرائيلي ، أو يحرضوا الناس على ما من شأنه أن يبث الوعي بينهم ، وينبههم إلى حقوقهم الأساسية المنهوبة من قبل العدو اليهودي.

ولم تكتف سلطات الاحتلال بـالـتـحـذيــر ، بل إنها استجوبت بعض هؤلاء الخطباء عما ينشرونه بين الناس من أفكار رافضة لكل أشكال الهيمنة والاحتلال.

ومناسبة يوم الخامس من حزيران لا ينبغي أن تمر دون أن يشار إلى مجموعة من الحقائق التي تتعلق بها.

- لابد من الإشارة إلى أن الهزيمة عام 1967 أمام اليهود ، ومن قبلها هزيمة عام 1948 كانت هزيمة أنظمة ، وليست هزيمة شعوب ، تلك الأنظمة التي جثمت على صدر شعوبها ، وبدل أن تكون حارساً أميناً ، وراعياً رحيماً ، كانت على خلاف ذلك ، فلا هي تسلمت هذه الأمانة الثقيلة بجدارة ، ولا هي حافظت عليها بحرص وحصافة ، وإنما أذاقت محكوميها المرَّ كله ، وجردتها من كل معاني العزة والكرامة ، وداست كل حرمة في سبيل الحفاظ على هيمنتها وتحكمها وامتيازاتها التي اغتصبتها من حق الشعوب المسكينة المسوقة بالحديد والنار إلى مالا تريد.

وإن تعجب ؛ فإن أعجب العجب ما بلغته هذه الأنظمة المهزومة التي كانت بادية العري لكل ذي مُسكة من عقل ، فأصبحت بعد هزيمة 1967 مكشوفة السوءات لكل ذي عينين ؛ حيث ادعت أن هدف إسرائيل (كان) إسقاط هذه الأنظمة التي هي رأسمال كل مجد وعزة لشعوبها (!!) ولكن الله قدر ولطف! فلم تستطع إسرائيل تحقيق هذا الهدف الإستراتيجي ! في حين احتلت الأرض وشردت ناسها ، ولكن ذلك لا يعتبر شيئاً ، وليس خسارة تقاس بالكسب الذي تحقق ، وهو خروج هذه الأنظمة سليمة معافاة من هذه المحنة !!.

أرأيت هذه القِحّة ؟! وهل هناك صفاقة إعلامية تعدل هذه الصفاقة ؟!.

- في الوقت الذي بنت فيه إسرائيل دولتها على أساس من إيمانها بالتوراة المحرفة ، وجعلت عقيدتها الدينية هي المحرك الفكري الذي تنطلق منه وتعتز بباطلها أشد الاعتزاز ، وتعلن بذلك أمام سمع العالم وبصره ، ترانا على المستوى الرسمي -نحن الذين هزمتنا إسرائيل بمثل هذه العقيدة العنصرية الباطلة ، وبمثل هذا الزور المفضوح- ضائعين تائهين نتسول الأفكار والمذاهب من عتبات الشرق والغرب ، ونلبس المرقَّعات التي يفصلها لنا أعداؤنا الذين لا يريدون لنا خيراً، فنبدو كمجموعات من المتسولين الأذلاء ، فاقدي الحس والكرامة.

ولكن رغم هذه الصورة القاتمة التي يعكسها إعلامنا ، ورغم الحرب التي يعلنها على الإسلام أعداؤه في الداخل والخارج ، ورغم الاحتلال الصهيوني الذي يحاول أن يلغي هوية الشعب الفلسطيني وينكر عليه أي انتماء فإننا نجد هذا الشعب أكثر ما يكون تمسكاً بحقوقه ، وكذلك فإن بوادر رجوعه إلى الإسلام يحس بها كل من يرصد الاتجاهات الفكرية التي تحرك هذا الشعب.
- والعودة إلى الإسلام تتجلى بالإحساس العميق الذي أخذ يشعر به الجيل الجديد من أبناء فلسطين ؛ من أن له هوية قد منع من التعبير عنها لمدة طويلة ، وله عقيدة تمده بكل عوامل الصمود في وجه التحديات . وأن هذه العقيدة -وهي الإسلام- هي العقيدة الوحيدة القادرة على التصدي للعدو الذي فشلت في صده كل النظريات والأيديولوجيات والأفكار التي قوبل بها حتى الآن.
وهذه العقيدة لا تعوزها الاستدلالات الملتوية ، ولا الدعاية المركزة من أجل غرسها وتحبيب الناس بها ، بل هي مركوزة في ضمير هذا الشعب وفي وعيه الباطن ، والتفاتة بسيطة إلى الماضي كي يكتشف أبسط الناس ثقافة في فلسطين وفي غيرها أن هذه البلاد قد تعرضت لهجوم صليبي استيطاني شرس في السابق ، وأنها وقعت ضحية الفرقة والتناحر التي ضربت العالم الإسلامي ، وبعد مدة طويلة عندما استفاق الوعي الإسلامي ، وأخذ المسلمون بأسباب النصر من الرجوع إلى الله والإعداد الجاد طردوا الصليبيين شر طردة ، واقتلعوهم من هذه الأرض التي دنسوها لفترة ليست بالقصيرة.
والرجل العادي حينما يتذكر ذلك يتذكر ببساطة أن الجحافل التي نظفت فلسطين وباقي بلاد الشام من رجس الصليبيين كانت تفعل ذلك باسم الله ، وتحت راية الإسلام ، وتتخذ من مصطلحاته زادها الفكري والتعبوي من مثل الجهاد والمرابطة ، والذود عن حياض الإسلام ، وتطهير مسرى النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وإعادة الأرض التي بارك الله فيها إلى حظيرة ديار الإسلام .. وأن سنين طويلة منذ أوائل هذا القرن ، من التبعية للغرب ولرموزه ، ومن الجري وراء سراب الشعارات التي يرفعها أعداء الإسلام من شتى الألوان والاتجاهات ، يستغلون ويخدعون بها ذراري المسلمين ؛ لم تورثنا إلا ذلاً على ذلك ، ولم نجن من وراء سرابها إلا الخيبة والخذلان على كل صعيد !.
كل ذلك جعل أهل الحق يحاولون نفض الغبار والتراب الذي أهاله أهل الباطل عليه ، مما نقرأه أو نسمع عن أنبائه في داخل فلسطين المحتلة.
* هذه العودة المباركة إلى الإسلام تلقى حرباً من جهتين :
فاليهود وحلفاؤهم يتخوفون من آثارها ويرصدونها بعيون مفتوحة ، ويحاولون الوقوف في طريقها بشتى الوسائل ، مثل التعتيم الإعلامي الذي تعامل به ، وذلك التشويه الذي يمارس ضدها . وهذا طبيعي بالنسبة لليهود فهل يعلمون أن العقيدة الوحيدة التي لا ينطلي على معتنقيها كيدهم وغدرهم هي العقيدة الإسلامية ، وأن عدوهم الأول الإسلام ، وصدق الله القائل :

((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا))[المائدة / 82].
على أن الشيء المؤسف هو معاداة التوجه الإسلامي بين العرب في فلسطين من قبل أدعياء الوطنية من العلمانيين والمرتبطين بهذه الجبهة أو تلك ممن يتاجرون بالقضية الفلسطينية ، والذين افتضح إفلاسهم وتضخيمهم لأدوارهم وألاعيبهم لكسب الأنصار والأعوان.
ومما يثير الأسى ويؤلم الفؤاد ما كتبه صحفي فلسطيني -ممن تدفع لهم منظمة التحرير وتنفق على صحفهم في الضفة الغربية- ناعياً على أصحاب هذا التوجه الإسلامي من أهل فلسطين ، ومعتبراً خطورة فكرهم قد تفوق الفكر الصهيوني ، وإذا عرفنا سبب هذه الحملة التي يحملها هذا الصحفي وأمثاله على التوجه الإسلامي الفتي في فلسطين بطل عجبنا وزال استغرابنا. فتنامي التيار الإسلامي في فلسطين يهدد بسحب البساط من تحت الذين يحتكرون ادعاء مقاومة إسرائيل في العلن ، بينما هم يلتقون معهم في السر [انظر ما نشر من كتاب يوري أفنيري : صديقي العدو].
وكذلك فإنه لا يروق لأمثال حنا سنيورة وإلياس فريج أن يروا للمسلمين أثراً ولا أن يسمعوا لهم صوتاً ، كي لا يفقدوا مبرر وجودهم وعيشهم على ما تقدمه منظمة التحرير من رواتب وامتيازات.
- تبقى هناك كلمة أخيرة حول النشاط الإسلامي في فلسطين ، فهذا النشاط هو معقد الأمل بالنسبة لغالبية المسلمين في كل بقاع العالم من أجل تحرير فلسطين . وهذا البعث الإسلامي الذي يبشر بخير هو الجدير منا بكل مساندة مادية أو معنوية ، وينبغي التنويه به وتسديد طريقه نحو سلامة التصور ووضوح الهدف.
أما سلامة التصور فتتلخص في اتخاذ الإسلام القائم على كتاب الله وسنة رسوله والانطلاق من هذا الأساس الواضح لفهم الإسلام ، والبعد كل البعد عن ما يخالف ذلك من المناهج والسبل ، وكذلك عدم الانخداع بكثير ممن يحملون الراية الإسلامية ليغطوا بها كراهيتهم الدفينة للإسلام وحقدهم القديم على العرب -حملة الإسلام للعالمين- كالشعوبيين والباطنيين الذين يفوقون في خطرهم اليهود والنصارى والملاحدة لأن هؤلاء كراهيتهم معلنة ممكن اتقاؤها ، أما أولئك فعداوتهم باطنة قد تخفى أو تغيب عن كثير من ذوى النوايا الطيبة.
وكلنا أمل في أنه لو قيض لأصحاب الصوت الإسلامي النقي -ممن يرزحون تحت نير الاحتلال الإسرائيلي والقهر اليهودي ، ومن إخوانهم في المهاجر في شتى بقاع العالم- القيادة الحكيمة التي تجمع كلمتهم على التقوى والمنهج الإسلامي الصحيح ، بعيداً عن أصحاب الأهواء من مستغلين ومبتدعين ، وبعيداً عن تجار الجماجم الذين انكشفت خزاياهم ؛ لو حصل ذلك -وما ذلك على الله بعزيز- لزالت أسطورة "إسرائيل" من الوجود كما زال كثير من الأساطير التي كانت في يوم من الأيام حقائق.

فنسأل الله لإخواننا في فلسطين المحتلة السداد والثبات والرشاد بمنه وكرمه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

من أعلام الإسلام

الطحـــاوي (1)

229-321 هـ

إعداد : سليمان الحرش

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي، نسبة إلى "طحا" في قرى مصر ، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين . تفقه على مذهب الإمام الشافعي ثم انتقل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة . وقد ذكر ابن خلكان في الوفيات : أن سبب انتقاله إلى مذهب أبي حنيفة ورجوعه عن مذهب الشافعي لأن خاله المزني قال له يوماً : والله لا يجيء منك شيء . فغضب وتركه واشتغل على أبي جعفر بن أبي عمران الحنفي ، حتى برع وفاق أهل زمانه ، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في مصر.

شيوخه :

تخرج -رحمه الله- على كثير من الشيوخ ، وأفاد منهم ، وقد أربى عددهم على ثلاثمائة شيخ ، فقد سمع من هارون بن سعيد الأيلي ، وعبد الغني بن رفاعة ، ويونس بن عبد الأعلى ، وعيسى بن مثرود ، ومحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم ، وبحر بن نصر الخولاني ، وخاله أبي إبراهيم المزني ، فقد روى عنه مسند الشافعي ، وسليمان ابن شعيب الكيساني ، ووالده محمد بن سلامة ، وإبراهيم بن منقذ ، والربيع بن سليمان المُرَادي ، وبكار بن قُتيبة ، ومقدام بن داوود الرُعيني ، وأحمد بن عبد الله بن البرقي ، ومحمد بن عقيل الفريابي ، ويزيد بن سنان البصري و غيرهم.

تلاميذه :

وروى عنه خلق منهم : أحمد بن القاسم الخشاب ، وأبو الحسن محمد ابن أحمد الأخميمي ، ويوسف الميانجي ، وأبو بكر بن المقريء ، وأبو القاسم الطبراني ، وأحمد بن عبد الوارث الزجاج ، وعبد العزيز بن محمد الجوهري ، قاضي الصعيد ، ومحمد بن بكر بن مطروح ، ومحمد بن الحسن ابن عمر التنوخي ، ومحمد بن المظفر الحافظ ، و غيرهم.

وارتحل إلى الشام في سنة ثمان وستين ومائتين ، فلقي القاضي أبا خازم وتفقه عليه.

عقيدته ومنهجه :

الإمام الطحاوي من أئمة السلف الصالح ، العاملين على هدي من الله وبصيرة ، الذين لا يألون جهداً في نشر مذهب السلف في العقيدة المستمدة من

الكتاب والسنة ، وخير شاهد على ذلك كتابه العظيم -والذي تلقاه العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول- (العقيدة الطحاوية) فإن الدارس لهذا الكتاب يتبين له من خلال دراسته أن مؤلفه -رحمه الله- قد التزم بمنهج أهل السنة والجماعة ، في مفهوم الاعتقاد ، وخاصة فيما يتعلق بالأسماء والصفات ، والتي جنحت فيها كثير من الفرق ، من مشبهة ، ومعطلة ، ومؤولة إلا ما أخذ عليه في بعض المواطن النادرة (وأبى الله أن يتم إلا كتابه).
أما منهجه في المذهب وترجيحه للأقوال فإنه يعتبر قدوة ومدرسة في ذلك ، فلم يمنعه التزامه بمذهب (أبي حنيفة رحمه الله) النظر في الأدلة والأقوال المخالفة لمذهبه ، وترجيح بعضها على بعض بحسب ما يراه راجحاً ، وما يتبين له من الحق ، وهذا من أمثل المناهج في التفقه والنظر ، وذلك لمن حصلت له الأهلية في ذلك.
ومما يؤيد ذلك ما قاله ابن زولاق : »سمعت أبا الحسن علي بن أبي جعفر الطحاوي يقول : سمعت أبي يقول : وذكر فضل أبي عبيد بن جرثومة وفقهه ، فقال : كان يذاكرني في المسائل فأجبته يوماً في مسألة فقال لي : ما هذا قول أبي حنيفة ! فقلت له : أيها القاضي أو كل ما قاله أبو حنيفة أقول به ؟ فقال : ما ظننتك إلا مقلداً ، فقلت له : وهل يقلد إلا عصبي ، فقال لي : أو غبي ، قال : فطارت هذه بمصر حتى صارت مثلاً وحفظها الناس« (2).

ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى على الإمام الطحاوي غير واحد من أهل العلم ، والفقه ، والحديث ، وعلماء الجرح والتعديل . قال ابن يونس : وكان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً ، لم يخلف مثله.
وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء : الإمام العلامة ، الحافظ الكبير ، محدث الديار المصرية وفقيهها . وقال ابن كثير في البداية والنهاية : الفقيه الحنفي ، صاحب التصانيف المفيدة ، والفوائد الغزيرة ، وهو أحد الثقات الأثبات ، والحفاظ الجهابذة.
وقال ابن الجوزي في المنتظم : كان الطحاوي ثبتاً ، فقيهاً ، عاقلاً . وقال الصلاح الصفدي في الوافي : كان ثقة نبيلاً ، ثبتاً ، فقيهاً ، عاقلاً لم يخلف بعده مثله . وقال السيوطي في طبقات الحفاظ : الإمام العلامة الحافظ ، صاحب التصانيف البديعة.

مصنفاته :

أما تصانيفه فقد كانت غاية في التحقيق ، وحوت من الفوائد وحسن العرض والتصنيف ما جعلها جديرة بالاهتمام منها :
1- العقيدة الطحاوية : والتي قال عنها السبكي : (جمهور المذاهب الأربعة على الحق يقرؤون عقيدة الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول) (3).

2- اختلاف العلماء.
3- بيان السنة والجماعة في العقيدة.
4- حكم أراضي مكة المكرمة.
5- شرح الجامع الصغير والكبير للشيباني في الفروع.
6- عقود المرجان في مناقب أبي حنيفة النعمان.
7- الفرائض.
8- قسمة الفيء والغنائم.
9- كتاب التاريخ.
10- كتاب التسوية بين حدثنا وأخبرنا.
11- الشروط الصغير.
12- الشروط الكبير.
13- المحاضرات والسجلات.
14- المختصر في الفروع.
15- نقد المدلسين على الكرابيسي.
16- اختلاف الروايات علي مذهب الكوفيين.
17- مشكل الآثار.
18- شرح معاني الآثار.

وفاته :

توفي -رحمه الله- سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، ليلة الخميس مستهل ذي القعدة . بمصر ، ودفن بالقرافة ، وله ثمان وثمانون سنة.

الهوامش :

1- انظر ترجمته في طبقات الشيرازي 8/218 ، الأنساب 8 / 218 . تاريخ ابن عساكر 2 /189-190 . المنتظم 6 / 186 . وفيات الأعيان 1 / 71-72 . الوافي بالوفيات 8 / 9 -10 . مرآت الجنان 2 / 281 . تذكرة الحفاظ 3 / 808 . البداية والنهاية 11/174 العبر 2 / 11 . سير أعلام النبلاء 15 / 27-32 . لسان الميزان 1 / 174-282 . شذرات الذهب 2 / 288 . طبقات الحفاظ 339 . حسن المحاضرة 198 . اللباب 2 / 275 . كشف الظنون 5 / 58 . النجوم الزاهرة 3 / 239 . مقدمة العقيدة الطحاوية . مقدمة شرح معاني الآثار . وكتب أخرى.
2- لسان الميزان لابن حجر في ترجمته للطحاوي 1 / 280.
3- من كتابه معيد النعم ومبيد النقم.

التجديد في الإسلام
(7)

التجديد عند ابن تيمية

ولـد ابـن تـيـمـية ونشأ في عصر يموج بالاضطراب السياسي والفكري، فقد تعرض المسلمون لهجمات الـتـتـار المـتـوحـشـين الذين كانوا يزحفون زحف الموت تسبقهم شائعات الرعب والخوف، فدمروا بغداد وقتلوا خليفتها ، ثم زحفوا على الشام حتى حاصروا دمشق ، ولم يدر بخلد أحد أن النصر عليهم من الأمور الممكنة ، فقد تغلغلت الهزيمة النفسية في أعماق المـسـلـمـين شعباً وولاة. كما سيطرت الانحراف العقائدي المريع على الخاصة والعامة، فقد كـاد الـنـاس أن يـنسـوا مـذهـب السلـف الـصالح، وانتشرت الصوفية المبتدعة بين صفوف الجماهير،وعرضت العقيدة الإسلامية على طريقة علماء الكلام،وجمد الفقهاء على المذاهب وأوصدوا باب الاجتهاد، وكانت العصبية المذهبية على أشدها، وفي المساجد الكبرى توضع محاريب عدة ، لكل مذهب محراب.

هذه الأوضاع العقدية الفقهية كانت مستقرة سائدة لا يفكر أحد في كسر مألوفها والخروج عليها ، لأن مصير من يخالف هذه الأوضاع معروف : يرميه العلماء عن قوس واحدة ، ويحاربونه في نفسه ورزقه ، ويرفعون أمره إلى السلطان على أنه خطر يهدد البلاد والعباد ، وكان السلاطين في غالبهم جهلة لا يميزون بين حق وباطل ، وهكذا كان يضطهد المخلصون.

نشأ ابن تيمية في هذه البيئة ، ودرس عيوبها ، وعرف بما آتاه الله من عقل واسع وشخصية فذة ، كيف يصدع بكلمة الحق في هذا المجتمع ، وكيف يرجع بالناس إلى الجادة المستقيمة . وكيف يحارب الخرافة والفلسفة ، بل وكيف يقود الجماهير في عصر ضعف فيه شأن السلطة واستفحل خطر أعدائها.

بدأ الشيخ دروسه سنة 681 هـ وانتهت إليه رياسة المذهب الحنبلي وهو في مقتبل شبابه، وكتب (الفتوى الحموية) في عقيدة السلف ، وكانت أول عمل علمي ينشر فيه عقائد السلف المخالفة لمألوف الناس ، فثار عليه العلماء وحاكموه وحرموه من التدريس ، ولم يثنه هذا أو يفلَّ من عزيمته ، بل ظل يناضل في جميع الميادين بلا هوادة ، ويختط لأهل السنة طريق الإصلاح فألف في الرد على الرافضة، والفلاسفة، وعلماء الكلام ، والصوفية، والنصارى ، وغيرهم . وألّف في دراسة العيوب والمشاكل الاجتماعية وتحليلها ، وألّف في الفقه ودراسة الأحكام على مذهب الإمام أحمد ثم ألّف فيه باعتباره مجتهداً لا يلتزم بمذهب.

ونستطيع أن نقول : إن ابن تيمية أحيا مدرسة الحديث والسنة في عصره ، ورفع شأنها واستطاع أن يجتذب إليها صفوة العلماء في عصره ، ويكفي أن نذكر من أساطين هذه المدرسة الذين تتلمذوا على يديه : ابن قيم الجوزية ، والإمام الذهبي ، وابن كثير ، والإمام المزي ، والإمام محمد بن عبد الهادي .. ثم من ساروا على النهج من بعد.

وإذا كان المـقــصـود بالتجديد هو إرجــاع الـديـن غـضـاً طرياً بعد أن تراكمت عليه البدع والانحرافات بشتى أشكالها وصورها فذهبت برونقه وبهائه، إذا كان المقصود هـذا، فــإن هـذا الـوصـف ينطـبـق تماماً على شيخ الإسلام ابن تيمية، فمع وجود علماء كبار في عصره وقبل عصره يجمعون بين العلم والعمل، وربما وصلوا إلى درجة الاجتهاد ، ولكن لم يقوموا بدور التجديد بشكل عام ، وهو إرجاع الناس إلى السنة وإلى المنهج الصحيح الذي يمنعهم عن الانحراف ، ومحاربة كل أنواع الانحراف ، بينما نجد ابن تيمية قام بالأعمال التالية :

1- نقد مناهج الفلاسفة والمتكلمين وحاربهم بنفس سلاحهم وأثبت أن عقائد الإسلام لا تحتاج إليهم ، وأن ما يسمونه الأدلة البرهانية والعقلية موجودة في الكتاب والسنة ، ولئن كانت طبقة الفلاسفة ومن يتأثر بهم هي طبقة محدودة في المجتمع الإسلامي فإن المتكلمين ومن يتبعهم يمثلون تياراً كبيراً ، ولفهم ابن تيمية للصلة الوثيقة بين الأفكار وأثرها قام بالهجوم أيضاً على أتباع هذا المذهب الذي حاول أن يكون وسطاً بين تيار الاعتزال وبين أهل السنة ، وعرضوا الإسلام عرضاً جافاً ، وكان رأيهم في الإيمان والقضاء والقدر وغيرها من أمور العقيدة مما أثر في فهم المسلمين لدينهم وبالتالي في التطبيق العملي لهذا الدين ؛ وكان هذا من أعظم أعمال ابن تيمية في الدفاع عن عقيدة أهل السنة وبيانها بجلاء ووضوح ، وقد ألف في ذلك كتابه الفذ (درء تعارض العقل والنقل).

2- نقد الفرق المنحرفة بأداة قوية وبيان ناصع كالجهمية والرافضة وغلاة الصوفية وألف في ذلك (منهاج السنة النبوية) و (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

كما رد على النصارى في كتابه القيم (الجواب الصحيح) الذي يعد من أعظم ما كتب في الرد على النصارى.

وإذا كان العلماء السابقون لابن تيمية أو المعاصرون له ، قد تفرغوا للعلم ونشره ، وألفوا في الحديث أو الفقه أو التفسير أو غير ذلك من العلوم الإسلامية فإننا هنا بإزاء عالم يرى من واجبه إزالة ما تراكم من البدع والضلالات ورد الناس إلى الكتاب والسنة ولذلك ألف في الموضوعات التي يرى أنها واجبة عليه لتحقيق هذا الهدف ، ولذلك لم يكتب تفسيراً كاملاً مع أن مادة التفسير كانت من أحب العلوم إلى نفسه ولكنه يصرح أنه لا يريد أن يكرر ما كتب سابقاً ولذلك فسر سوراً معينة أو آيات معينة.

3- أحيا الاجتهاد ، والرجوع إلى النصوص الشرعية ، وتحكيم الدليل بقوله وفعله ، فلم يكتف بالهجوم على التقليد المتعصب فحسب ، بل زاول الاجتهاد ورجح في المسائل التي يبحثها ما يراه أسعد بالدليل غير مكترث لمخالفة رأي فلان أو فلان ، ولذلك لا نجد في تلاميذه وأتباعه من رواد هذه المدرسة ما

نجده عند غيرهم من التعصب الممقوت وإن كانوا متبعين لمذهب معين كابن كثير والذهبي وغيرهما.
ومن هذا المنطلق ناقش القضايا المستجدة الحادثة التي توقف فيها العلماء وأعطى فيها الرأي المدعم بالدليل.
ومن ذاك فتاويه المشهورة في (التتار) وقد كانت حالتهم وضعاً سياسياً طارئاً على المسلمين، لأن المتأخرين منهم المعاصرين لابن تيمية أسلموا وكان في جيشهم القاضي والمفتي ولكنهم يقاتلون المسلمين ويتحاكمون فيما بينهم إلى قانونهم الخاص الذي وضعه لهم (جنكيز خان) وقد تحير العلماء فيهم ولكن ابن تيمية قال فيهم كلمة الحق.
وإن المتتبع لأوضاع عصرنا الـيـوم يجد أن ابن تيمية بقي حياً في واقعنا السياسي ، بل هو كـمـا قــال عنه مــالك بـن نـبي : »قدم الترسانة الفكرية التي استمدت منها كل الحركات الإسلامية التي جاءت بعده«.
4- زاول بـنـفـسـه الـقـيـادة الحقيقـية للأمة، وكان جديراً بها، لمواهبه النادرة العظيمة، واستجماعه لخصائص القائد ، فكان يدافع عن مصالحها ضد المستغلين ، ويحفظ حقوقها ضد المنتهبين ، ويدفع عنها كيد عدوها ما استطاع.
ولعل من أعظم المواقف موقفه مع التتار حيث كان يحرض الناس على قتالهم ومنازلتهم ، ويباشر القتال بنفسه ، ويصدر الفتاوى التي تطمئن صدور الناس ، بل ذهب بنفسه إلى (قازان) التتري وأنّبه وقال:
»إن أجدادك الوثنيين لم يجرؤوا على ما جرؤت عليه« وقازان لا يتكلم بل يطلب منه الدعاء ويذهب الشيخ إلى مصر لمقابلة السلطان الناصر ، ويكلمه كلاماً شديداً فيقول له : »إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته ، أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه«(1).
وعلى الـصـعـيـد الــداخـلي كان ابن تيمية في جماعة من أصحابه الغيورين يمارسون الأمر بالمعروف والنهي عن المـنـكـــر وتعزير المفسدين ويحرض السلطان على غزو بلاد النصيرية وتأديبدهم.
5- إن مواقف الشيخ هذه سواء في العقيدة أو الفقه أو غيرها لم يخترع لها أصولاً جديدة وإنما استطاع أن يُعمِل أصول السلف ويطبقها على القضايا المستجدة فوسع دائرة المنهج ليستوعب تلك القضايا مع بقائه مربوطاً بأصول منهج السلف الأولى ، وهذا هو التجديد عند ابن تيمية -رحمه الله- وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.
- البداية والنهاية 14 / 14.

التنكيل بالمسلمين في الهند .. إلى متى ؟!

شهدت الأحياء المسلمة في مدينة ميروت الهندية التي توصف عادة بأنها المدينة التاريخية للإسلام في الهند ، في الأسبوع الثالث من شهر مايو مذبحة دامية ، ضمن مخطط الإبــادة الذي يتعرض له مسلمو الهند ، حيث بلغ عدد الضحايا فيها ما يزيد على الـ 100 قـتـيل حسبما أوردته وكالات الأنباء . قُتل غالبيتهم برصاص قوات الشرطة المؤلفة في معظمها من الهـنـدوس الـذيـن فـتـحــوا نـيران أسلحتهم على المسلمين دون تمييز بين الرجال والنساء والأطفال.
كما دوهمت منازل المسلمين ، ونهبت متاجرهم ، وأحرق العديد من ممتلكاتهم ، وفـــرض حظر التجول على أحيائهم في هذه المدينة التي تبعد حوالي 80 كيلو متراً شمالي شـــــرقي دلهي ، التي تعرض فيها أيضاً الحي القديم ، الذي يقطنه المسلمون لمداهمات الــشـرطــة وفرض حظر التجول.
ولقد قامت قوات الشرطة بانتهاك حرمة مساجد المسلمين ، وأزالت مكبرات الصوت فيها بحجة أنها تستخدم في بث الكراهية الدينية والتحريض على العـنـف وذلك إشـــارة إلـى النداءات التي أطلقها المسلمون لحض إخوانهم على الدفاع عن دينهم والــوقـــوف في وجه الاعتداءات الهندوسية . هذه الاعتداءات التي بلغت حداً من الوحشية وصــفـــت بـعــض أحداثه مجلة النيوزويك الأمريكية في عددها الصادر في 8 / يونيو /1987 بقولها :
».. اندفعت جموع الهندوس الهائجة تجوس خلال ماليانا [إحدى القرى المجاورة لميروت] فساداً ، تنهب وتحرق منازل ومتاجر المسلمين ثم تحولت هذه الجموع لتهاجم المسلمين أنفسهم وتعتدي على الرجال والنساء والأطفال على السواء ، لتشعل النار في بعضهم ، ثم تطلق عليهم الرصاص ، أو تضربهم بالفؤوس ، بينما كانوا يولون مذعورين من هول الآلام التي أصابتهم.
وقـــد عـثـرت قوات الشرطة على عشر جثث لأفراد عائلة كُدست في إحدى الآبار . كــمـا وُجـدت بــعــض الجـثـث الـتـي امتلأت بطلقات الرصاص طافية على بعد أميال في مصب إحدى قنوات الري«.
كما تطرقت مجلة الإيكونومست البريطانية في عددها الصادر في 30/5/1987 إلى الأحداث الأخيرة في مدينة ميروت فقالت :
»إن المسلمين في الهند يعانون من الغبن الاقتصادي فبينما هم يشكلون 12% من مجموع سكان الهند إلا أنهم لا يحصلون سوى على نسبة ضئيلة من الدخل ولا يملكون من الــثــروة إلا أقلها.
وفي مدينة ميروت التي تشتهر بصناعة المقصات والصناعات اليدوية والحلويات نجد أنه بينما يقوم المسلمين بتصنيع هذه السلع فإن الهندوس هم الذين يملأون جيوبهم من أرباح المتاجرة بهذه السلع.
ولا يُمثل المسلمون تمثيلاً عادلاً في وظائف الطبقة الوسطى التي تشمل القضاء ووظائف الخدمة المدنية العالية وشركات القطاع الخاص الكبيرة بالإضافة إلى الشرطة.

وغالب من أُرسل لإخماد الاضطرابات من المتعصبين ضد المسلمين . فقد تصرفت قوات الأمن بشكل مقيت في ميروت إذ ساهمت في إذكاء أعمال العنف والاضطرابات بدلاً من أن تعمل على إخمادها . وطبقاً لأقوال سكان المدينة فإن قوات الأمن ساهمت في تحريض هياج سكان إحدى القرى مما أدى إلى مقتل 90 شخصاً«.

يقف وراء الكثير من هذه المذابح مسؤولون ينتمون إلى الطوائف الهندوكية المتطرفة كمنظمة آر. أس. أس. وغيرها التي تتربص بالمسلمين الشر . حيث تقوم هذه المنظمة المعادية للإسلام بإثارة القلاقل والفتن ، وتحاول اغتصاب أوقاف المسلمين والسيطرة على مساجدهم ومقابرهم بشتى الطرق والوسائل ، كما يعمدون إلى قتل المسلمين ونهب أموالهم وإحراق أطفالهم ونسائهم.

ثم إن الأمر لا يقتصر على الطوائف الهندوكية فحسب ، بل إن الحكومة الهندية تدأب منذ سنوات على إدخال التغييرات والتعديلات على قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، كالإرث والنكاح والطلاق ، وذلك تمهيداً لتنفيذ القانون المدني العام في الهند الذي يفرض على كل الديانات والطوائف نظاماً واحداً يخالف نصوص الإسلام.

كما أن هناك الكثير من المساجد (ما يزيد على الأربعين مسجداً) تضع الحكومة الهندية يدها عليها بحجة أنها آثار من العصر المغولي وتمنع الصلاة فيها . ولم تكتف بذلك بل إنها ساندت قرار مصادرة مسجد بابري الذي أنشئ منذ ما يزيد على أربعة قرون في عهد الملك المغولي بابر وتسليمه للهندوس وهو ما فجر غضب المسلمين وزاد من إشعال فتيل أعمال العنف.

هذا التعصب الهندوسي أشارت إليه جريدة الواشنطن بوست في عددها الصادر في 27 / مايو / 1987, حين قالت :

»إنه من الواضح أن الحكومة الهندية تستميل الهندوس وتحابيهم ، وقد أدت تلك التصرفات إلى تعزيز آراء الأقليات المختلفة بأن زعامة حزب المؤتمر الحاكم تشجع التعصب الهندوسي«.

ولكن هذا التعصب الهندوسي ضد المسلمين يتخذ أبعاداً أكبر ، فهم يواجهون حرب إبادة تشبه تلك التي نفذها النصارى تجاه مسلمي الأندلس . وهذه الحرب لا تنتهي عند حد ، فهي مستمرة منذ تقسيم الهند في الأربعينات ، بل وتزداد حملات التنكيل وفرض الردة عن الإسلام على المسلمين يوماً بعد يوم.

لا نريد هنا أن نسكب الدمع وننوح على إخواننا في الهند كلما حاقت بهم كارثة ، ولكن علينا أن نذكر بهؤلاء الذين لا بواكي لهم في العالم العربي بل وفي العالم الإسلامي.

وما يثير الاستغراب حقاً هو هذا التعتيم الإعلامي الذي تمارسه أجهزة الإعلام والصحافة بخاصة في العالم العربي على أحداث المسلمين في الهند لكأن

هؤلاء المسلمين لا يستحقون عشر معشار ما ينشر عن أخبار النصارى واليهود ، أو لكأن هؤلاء المسلمين ليسوا من سكان هذا الكوكب.
ولعل ما يفتقده المسلمون في الهند هو تلك القيادات التي تعرف كيف تقود جموع المسلمين الضائعة ، وتردهم إلى هدي الله وتصهر قواهم وجهودهم في بوتقة واحدة تستطيع معها أن تدفع شر الهندوس وغيرهم ، وأن ترد لهم الصاع صاعين -بإذن الله تعالى- ، وترفع الذل والهوان عن المسلمين في الهند بدلاً من الزعامات السياسية التي أصبحت أذناباً للهندوس وغيرهم يتكسبون باسم الإسلام وهو برئ منهم.
ويبقى واجباً على العلماء المخلصين العاملين في الهند من أمثال الشيخ أبي الحسن الندوي وأمير الجماعة الإسلامية وأمير الجماعة السلفية وغيرهم أن يبادروا بتقديم صورة واضحة وشاملة عما يلحق بالمسلمين من صنوف القهر والتنكيل ليطلع المسلمون والعالم على ما يجري في الهند ، ويكونوا على بينة من أحوال المسلمين هناك.
كما ينبغي على المسلمين في شتى بقاع العالم المبادرة لمساندة إخوانهم في الهند ، وتقديم العون المادي والأدبي لهم ، وأن يتخلوا عن هذا التقاعس ، وعدم البذل حتى في أقل القليل لنصرة إخوان لهم في الدين.
فإلى متى هذا التقاعس والذل والهوان ؛ وإخواننا يئنون ويصرخون ولا مجيب ! نداء نطلقه إلى كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.
وإلى الله المشتكى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الغربة والغرباء

مالك إبراهيم الأحمد

روى مسلم في صحيحه عن أبي هـريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : »إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء« (1).
وعن سهل بن سعد الساعدي عن الـنـبي - صلى الله عليه وسلم - قال : »إن الإســلام بدأ غريباً وسـيـعـود غريباَ كما بدأ ، فطوبى للغرباء« قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : »الذين يَصلُحون إذا فسد الناس« (2) وروي بزيادة بلفظ : »قيل ومن الــغـربـــاء ؟ قال : النُّزاع من القبائل« (3).
كما روى عبد الله بن المبارك في كتابه الزهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »طوبى للغرباء ، قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير ، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم« (4).
في الحديث الأول بيان مبدأ الإسلام ، وأنه بدأ غريباً بين الأديان ، وكان أهله غرباء بين الناس ، وكان المستجيب له غريباً بين أهله وعشيرته، يؤذى بسبب

ذلك ويفتن في دينه، ويـعـادى على ذلك ، وكان المسلمون صابرين راضين بقضاء الله مطيعين لأوامر رسوله حتى قوي الإســـــلام واشتد عوده في المدينة فزالت غربته عندما انتشر في أرض العرب ، وكان أهله هم الظاهرين على من ناوأهم.

وسيعود الإسلام غـريـباً كما بدأ (كما هو حال زماننا هذا) لقلة المتمسكين به . وهذه الغربة تزداد شيئاً فشيئاً بسبب دخول فتنة الشبهات والشهوات على الناس . أما فتنة الشبهات فقد بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة (5).

وأمــا فـتـنـة الشهوات فقد بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذلك حيث قال : »والله ما الـفـقــر أخـشـى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم« (6).

أما فـتـنـة الشبهات فينجى منها الطائفة المنصورة المذكورة في الحديث . »لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك« (7) وهم الغرباء في آخر الزمان.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

».. وقد تـكـون الغربة في بعض شــرائـعه ، وقد يكون ذلك في بعض الأمكنة . ففي كثير من الأمكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يـصـير بـه غريباً بينهم لا يعرفه منهم إلا الواحد بعد الواحد. ومع هذا فطوبى لمن تمسك بالشريعة كما أمر الله ورسوله« ا هـ.

قال ابن القيم :

».. فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون ولقلتهم في الناس جداً سُمُّوا غرباء ، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات . فأهل الإسلام في الناس غرباء . والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء . وأهل العلم في المؤمنين غرباء ، وأهل السنة -الذين يميزونها من الأهواء والبدع- منهم غرباء . والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين . هم أشد هؤلاء غربة . ولكن هؤلاء هم أهل الله حقاً ، فلا غربة عليهم ، وإنما غربتهم بين الأكثرين«.

وقال أيضاً :

»ومن صفات هؤلاء الغرباء -الذين غبطهم النبي -صلى الله عليه وسلم- - التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله، لا شيخ ، ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة. بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده ، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده . وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً وأكثر الناس ، بل كلهم لائم لهم .

فلغربتهم بين هذا الخلق : يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم«.

وقال أيضاً :

»فإذا أراد المؤمن الذي رزقه الله بصيرة في دينه ، وفقهاً في سنة رسوله ، وفهماً في كتابه وأراه ما الناس فيه : من الأهواء والبدع والضلالات ، وتنكبهم عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله وأصحابه . فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط فليوطن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه وطعنهم عليه واذدرائهم به ، وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم منه كما كان سلفهم من الكفار يفعلونه مع متبوعه وإمامه -صلى الله عليه وسلم- ، فأما إن دعاهم إلى ذلك، وقدح فيما هم عليه: فهناك تقوم قيامتهم ويبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل . فهو غريب في دينه لفساد أديانهم ، غريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع ، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريب في صلاته لسوء صلاتهم، غريب في طريقه لضلال وفساد طرقهم« (8).

ونجد في كتب السلف مدح السنة وأهلها ، ووصفهم بالغرباء.

قال الأوزاعي: »أما إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة ، ترفقوا -يرحمكم الله- فإنكم من أقل الناس«.

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي : »إني أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ، إن ترغب إلى عالم وجدته مفتوناً بحب الدنيا، يحب التعظيم والرئاسة، وإن ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهلاً في عبادته مخدوعاً صريعاً غرره إبليس قد صعد به إلى أعلى درجة العبادة، وهو جاهل بأدناها ، فكيف له بأعلاها، وسائر ذلك من الرعاع ، همج عوج ، وذئاب مختلسة ، وسباع ضارية ، وثعالب ضوار«.

وقال الآجري في وصـفــــه الـغريب: »فلو تشاهده في الخلوات يبكي بحرقة ويئن بــزفــرة، ودموعه تسيل بعبرة، فلو رأيته وأنت لا تعرفه لظننت أنه ثكلى قد أصيب بمحبوبه وليس كما ظننت ، إنما هو خائف على دينه أن يصاب به ، لا يبالي بذهاب دنياه إذا أسلم له دينه ، قد جعل رأس ماله دينه يخاف عليه الخسران« ا هـ.

وكما بين الحديث أن الغرباء قلة في الأزمان، من يطيعهم قليل ومخالفوهم كـثـيـر، وهــــم صنفان :

أحدهما : من يصلح نفسه عند فساد الناس.

والثاني : من يصلح نفسه ويصلح ما أفسد الناس من السنة وهو أعلى الصنفين وأفضلهما.

والغربة أنواع : أولها غربة أهل الحق ، أهل الله وأهل الإسلام بين المسلمين وهي الغربة الممدوحة ، وأصحابها هم الطائفة المنصورة.

والغربة الثانية : هي غربة الباطل بين أهل الحق وهي غربة مذمومة.

والثالثة مشتركة لا تحمد ولا تذم وهي الغربة عن الوطن.

صفة الغريب الذي لو أقسم على الله لأبره :

والغريب قد يكون غير مشتهر عند الناس ، ولا يأبه به كما ورد في صفة الغريب بعض الأحاديث ، منها : حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : »طوبى لعبد مغبرة قدماه في سبيل الله عز وجل ، شاعث رأسه ، إن كانت الساقة كان فيهم ، وإن كان في الحرس كان منهم ، وإن شفع لم يشفع ، وإن استأذن لم يؤذن له ، طوبى له ، ثم طوبى له« (9).
وعن أنس -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »رب أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله عز وجل لأبره« (10).
وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: »إن الله يحب العبد النقي الغني الخفي« رواه مسلم في صحيحه.
وروى البيهقي في الأسماء والصفات أن عمر بن الخطاب دخل المسجد فوجد معاذ بن جبل جالساً إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم- وهو يبكي فقال له عمر: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن ؟ هلك أخوك - لرجل من أصحابه - ؟ قال : لا . ولكن حديثاً حدثنيه حبي -صلى الله عليه وسلم- وأنا في هذا المسجد.
فقال: ما هو يا أبا عبد الرحمن ؟ قال: أخبرني أن الله عز وجل يحب الأخفياء، الأتقياء الأبرياء، الذين إذا غابوا لم يفـتـقــدوا، وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فـتـنة عمياء مظلمة(11).
ونختم حديثنا عن الغرباء بقول الآجري -رحمه الله- : »من أحب أن يبلغ مراتب الغرباء فليصبر على جفاء أبويه وزوجته وإخوانه وقرابته . فإن قال قائل : فلم يجفوني وأنا لهم حبيب وغمهم لفقدي إياهم إياي شديد ؟ قيل : لأنك خالفتهم على ما هم عليه من حبهم الدنيا وشدة حرصهم عليها ، ولتمكن الشهوات من قلوبهم ما يبالون ما نقص من دينك ودينهم إذا سلمت لهم بك دنياهم ، فإن تابعتهم على ذلك كنت الحبيب القريب ، وإن خالفتهم وسلكت طريق أهل الآخرة باستعمالك الحق جفا عليهم أمرك ، فالأبوان متبرمان بفعالك، والزوجة بك متضجرة فهي تحب فراقك، والإخوان والقرابة قد زهدوا في لقائك. فأنت بينهم مكروب محزون، فحينئذ نظرت إلى نفسك بعين الغربة فأنست بمن شاكلك من الغرباء ، واستوحشت من الإخوان والأقرباء ، فسلكت الطريق إلى الله الكريم وحدك ، فإن صبرت على خشونة الطريق أياماً يسيرة واحتملت الذل والمداراة مدة قصيرة ، وزهدت في هذه الدار الحقيرة أعقبك الصبر أن ورد بك إلى دار العافية، أرضها طيبة ورياضها خضرة، وأشجارها مثمرة ، وأنهارها عذبة..«.

الهوامش :

1- صحيح الجامع الصغير ، رقم 1576.
2- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم 1273.

3- توقف الألباني في تصحيحه وتضعيفه . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم1273.
4- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم1619.
5- انظر رواياته في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 204،205.
6- رواه البخاري في صحيحه.
7- رواه البخاري في صحيحه.
8- مدراج السالكين 3 / 194-201.
9- رواه البخاري تعليقاً ، والطبراني بإسناد صحيح.
10- رواه الترمذي وحسنه.
11- قال محقق كتاب الغرباء : إسناده صحيح ، وروي بطرق كثيرة فيها ضعف.

النبي والرسول

د. سليمان العايد

1- النبي في اللغة :

إن النبي على وزن فعيل، معلول الآخر، فإن كل مهموزاً فهو من النبأ بمعنى الخبر، قال تعالى : ((عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ))، وسمى النبي نبيئاً لأنه مخبَر من الله، مخبِر عنه، قال تعالى : ((قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ)) [التحريم /3] ، وقال:((نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ))، [الحجر / 149]، وقال : ((ونَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إبْرَاهِيمَ)) [الحجر/ 51].

فالنبي هو الذي يخبَر من الله ، ما يخبره به ملك الوحي ، ويبلغهم أمره ونهيه ووحيه.

وهو فعيل بمعنى فاعل أو مفعِل مثل أليم بمعنى مؤلم.

ويجوز أن يكون مأخوذاً من "النبء" بمعنى المرتفع ، والنبأة : النَّشَز من الأرض . والنبىء : الطريق الواضح.

وإذا كان صحيحاً فجمعه على فعلاء "نبآء" وقال الجوهري : يجمع أنبياء ، لأن الهمز لما أبدل ، وألزم الإبدال جمع جمع ما أصل لامه حرف العلة . وأما إن كان معلول الآخر فهو مأخوذ من النبوة والنباوة ، وهى الارتفاع عن الأرض ، أي أنه أشرف على سائر الخلق ، فأصله غير الهمز .

وقال سيبويه : ليس أحد من العرب إلا ويقول : تنبأ مسيلمة بالهمز . غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية ، والخابية ، إلا أهل مكة ، فإنهم يهمزون هذه الأحرف ، ولا يهمزون غيرها ، ويخالفون العرب في ذلك . قال : والهمز في النبي لغة رديئة.

وقال الزجاج: القراءة المجمع عليها في النبيين والأنبياء طرح الهمزة ، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن من هذا.
والنبي هو الطريق ، قال الكسائي : النبي : الطريق ، والأنبياء : طرق الهدى ، قال أبو معاذ النحوي : سمعت أعرابياً يقول : من يدلني على النبي أي على الطريق.
والنبي : العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها . قال بعضهم : منه اشتقاق النبي ، لأنه أرفع خلق الله ، وذلك لأنه يهتدي به . والنبي معلول الآخر يجمع على الأنبياء كغني وأغنياء . والنبي سمي نبياً لأنه يجمع المعاني المذكورة كلها فهو الطريق الوحيد إلى الله ، وهو أكبر عالم في الطريق إلى الله ، وهو رفيع المنزلة ، ارتفع قدره لأنه شرف على سائر الخلق . ثم هو بعد ذلك يُنبئ بخبر السماء.

2- الرسول :

يطلق في اللغة على معنيين :
أولهما : الإرسال : التوجيه ، وقد أرسل إليه أي وجه ، قال تعالى عن بلقيس ملكة اليمن : ((وإنِّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ)) [النمل /35] . والاسم الرسالة ، والرسول ، والرسيل . قال كثير عزة :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم   بسر ، ولا أرسلتهم برسيل

روي : برسول.
والرسول يطلق على الرسالة . يؤنث ويذكر ، ويطلق على المرسل ويستوي في رسول المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل عدو وصديق ، قال تعالى : ((إنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ)) وقال أبو ذؤيب الهذلي :

ألكنى إليها وخيـر الـرسـول أعلـمـهم بنـواحي الخبـر

أراد خير الرسل ، فوضع الواحد موضع الجمع كقولهم : كثر الدينار والدرهم . أي كثرت الدراهم والدنانير .
وثانيهما : المتابعة . قال تعالى : ((ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ)) [المؤمنون / 44] ، قال ابن عباس في تفسير ((تترى)) يعني يتبع بعضهم بعضاً (1). وقد أخذ هذا المعنى من قوله: »جاءت الإبل رسلاً« أي متتابعة.
وقيل في معنى المتابعة : إن من يوحى إليه متابع للأخبار عن الله عز وجل ، فالرسول يتابع أخبار الذي بعثه ، أخذاً من قولهم الآنف ذكره.
وقد يطلق الرسول على الرسالة ، قال تعالى عن موسى وأخيه : ((فَقُولا إنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ)) أي : إنا رسالة رب العالمين أي ذوا رسالة رب العالمين . كذا قاله أبو إسحاق . وقد سبق الكلام عليه.
»والإرسال اسم عام يتناول إرسال الملائكة ، وإرسال الرياح ، وإرسال الشياطين وإرسال النار ، قال تعالى : ((يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ

ونُحَاسٌ)) ، وقال تعالى : ((جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً)) والملك في اللغة : هو حامل الألوكة ، وهي الرسالة ، وقد قال في موضع آخر : ((ومَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلاَّ وحْياً أَوْ مِن ورَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإذْنِهِ مَا يَشَاءُ)) . وقال تعالى : ((وهُوَ الَذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)).
وقال تعالى : ((أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزاً)) ، لكن الرسول المضاف إلى الله إذا قيل رسول الله ، فهو من يأتي برسالة من الله من الملائكة والبشر كما قال : ((اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ)) . وقالت الملائكة : ((يَا لُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إلَيْكَ)) . وأما عموم الملائكة والرياح والجن فإن إرسالها لتفعل فعلاً ، لا لتبلغ رسالة ، قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً)) . فرسل الله الذين يبلغون عن الله أمره ونهيه هي رسل الله عند الإطلاق ؟ وأما من أرسله الله ليفعل فعلاً لمشيئة الله وقدرته فهذا عام يتناول كل الخلق ، كما أنهم كلهم يفعلون بمشيئته وإذنه المتضمن لمشيئته ، لكن أهل الإيمان يفعلون بأمره ما يحبه ويرضاه ، ويعبدونه وحده ، ويطيعون رسله ، والشياطين يفعلون بأهوائهم وهم عاصون لأمره متبعون لما يسخطه ، وإن كانوا يفعلون بمشيئته وقدرته [النبوات ، ص 174].
وقال الزجاج في تفسير قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزاً)) في قوله أرسلنا وجهان : أحدهما أنا خلينا الشياطين وإياهم ، فلم نعصمهم من القبول منهم . قال : والوجه الثاني : وهو المختار أنهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم ، كما قال تعالى : ((ومَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)) ومعنى الإرسال هنا التسليط . قال أبو العباس : الفرق بين إرسال الله -عز وجل- أنبياءه وإرساله الشياطين على أعدائه في قوله تعالى : ((أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ)) أن إرساله الأنبياء إنما هو وحيه إليهم أن : أنذروا عبادي . وإرساله الشياطين على الكافرين تخليته وإياهم ، كما تقول : كان لي طائر فأرسلته ، أي : خليته وأطلقته . [اللسان (رسل)]
ومثل الإرسال »لفظ البعث يتناول البعث الخاص والبعث الشرعي كما قال : ((هُوَ الَذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ)) ويتناول البعث العام الكوني . كقوله : ((فَإذَا جَاءَ وعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ)) . وقال تعالى : ((وإذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ)) . فالعام بحكم مشيئته وقدرته . والخاص هو أيضاً بحكم مشيئته وقدرته . وهو مع ذلك بحكم أمره ورضاه ومحبته . وصاحب الخاص من أولياء الله يكرمه ويثبته ، وأما من خالف أمره ، فإنه يستحق العقوبة ولو كان فاعلاً بحكم المشيئة ، فإن ذلك لا يغني عنه من الله شيئاً ، ولا يحتج بالمشيئة على المعاصي ، إلا من تكون حجته داحضة ، ويكون

متناقضاً ، متبعاً لهواه ، ليس عنده علم بما هو عليه كالمشركين الذين قالوا : ((لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ولا آبَاؤُنَا ولا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ)) [النبوات 174 - 175].

الفرق بين النبي والرسول :

لدينا في هذه المسألة أربعة أقوال، وكل قول له أنصاره، ومؤيدوه وأدلة على ما ذهبوا إليه.
وأول هذه الأقوال ، قول من قال : إنهما لفظان مترادفان ، وفي الشفاء للقاضي عياض 1/488 »مثل : هما سواء ، وأصله من الإنباء وهو الإعلام . واستدلوا بقوله تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلاَّ إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ)) فقد أثبت لهما معاً الإرسال ، قال : ولا يكون النبي إلا رسول ؛ ولا الرسول إلا نبياً.
والناظر في النصوص الأخرى يجد ما يرد هذا الرأي ويضعفه ، وأول هذه النصوص الآية المذكورة آنفاً ، وهي دليلهم على ما قالوا إذ فرق الله تعالى بين الاسمين ، ولو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ [انظر الشفاء 488].
ووصف الله بعض رسله ، بالنبوة والرسالة ، قال تعالى عن نبيه موسى -صلى الله عليه وسلم- : ((واذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وكَانَ رَسُولاً نَّبِياً)) ، فجمع بين النبوة والرسالة بالعطف بالواو ، وهذا يدل على أنهما لفظان متغايران ، أو أن أحدهما يشتمل على معنى زائد عن الآخر ، ولا يجوز عطف المتماثلين من كل وجه.
ويضعفه الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند ، والحاكم في المستدرك وابن حبان عن أبي ذر --رضي الله عنه- أنه قال : »قلت : يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال : ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً« وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر : »قلت : يا رسول الله ، كم وفاء عدة الأنبياء ؟ قال : مائة ألف ، وأربعة عشر ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً«.
فهذه النصوص كلها صريحة في رد رأي من يقول بترادف اللفظين ، ولم يبق أمامنا إلا أن نقول: إنهما مفترقان من وجه ، ويجتمعان من وجه ، وتلمساً لهذا الفرق ، قال بعضهم: إن النبي من أوحى إليه بشرع ، ولم يؤمر بالتبليغ ، والرسول من أوصي إليه ، وأمر بالتبليغ . واستدلوا لرأيهم بقوله تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلاَّ إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ)) . إذ قالوا : المعنى : »وما أرسلنا من رسول إلا أمة ، أو نبي وليس بمرسل إلى أحد« . واستدلوا بالمدلول اللغوي للكلمتين ، فالنبي مأخوذ من الإنباء والنبأ وهو الخبر بينما الرسول مأخوذ من البعث والتوجيه.
وهذا الرأي لا يخلو من ضعف، لأن الله قد نص على إرسال الرسل والأنبياء في الآية المذكورة ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلاَّ إذَا تَمَنَّى

أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ)) فالرسل والأنبياء مرسلون ، وهم يقولون : المرسلون الرسل ، دون الأنبياء.
2- قول الله تعالى : ((ورَحْمَتِي وسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)) [الأعراف 56] . وتقول الملائكة : ((رَبَّنَا وسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وعِلْماً)) [غافر 7] ، والرحمة من معانيها النبوة، قال تعالى: ((أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ)) وفي ترك البلاغ والإنذار كتمان لرحمة الله ، وتضييق لها ، وتحجير لواسعها ، وجحد لنعمة الله التي أمر نبيه أن يحدث بها ((وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)) ، وأعظمهم رحمة ، وأكبر نعمة هي رحمة الهداية ، ولم يثبت بنص صحيح أن الله اختص نبياً من الأنبياء ، وأوحى إليه وحياً ، وقال له : هذا لك خاصة لا يشركك فيه الناس.
3- النصوص في القرآن والسنة تبين أن الأنبياء كانوا يقاتلون في سبيل الله ، والقتال من أكبر وأعظم واجبات الدعوة والتبليغ ، قال تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إلَى المَلأِ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الـقِـتَـالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا)) [البقرة / 246-252].
وروى مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »غزا نبي من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة ، وهو يريد أن يبني بها ولما يبن ، ولا آخر قد بنى بنياناً ، ولم يرفع سقفها ، ولا آخر قد اشترى غنيمات أو خلفات وهو ينتظر أولادها ، فغزا ، فدنا من القرية حين صلى العصر ، أو قريباً من ذلك. فقال للشمس : أنت مأمورة ، وأنا مأمور ، اللهم أحبسها علي شيئاً«.
وقال تعالى : ((إنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى ونُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا والرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ واخْشَوْنِ ولا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ومَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ)) [المائدة /44].
4 - ما رواه البخاري 11 /405 ومسلم من حديث ابن عباس أنه قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : »عرضت علي الأمم ، فأخذ النبى يمر معه الأمة ، والنبى يمر معه العشرة ، والنبى يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي ؟ قال لا ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قال: هؤلاء أمتك.. الخ« ووجه الاستدلال تفاوت الإجابة من الأمم ، وهذا لا يكون إلا بعد دعوة من الأنبياء. ثم إن هذا الحديث قد يكون في مقام عزاء الرسول لقلة من أجابه ، وآمن به ، وفي مقام تبشيره ، فناسب عرض الأمم السابقة وكأن الحديث يقول : إن هؤلاء على ما بذلوه بين جهد في الدعوة ، أنت أكثر منهم أمة. والله أعلم .
5 - إن اتباع الأنبياء -وهم لا يوحى إليهم- مطالبون بالتبليغ ، والدعوة والجهاد فكيف بالأنبياء وهم أفضل ، وقد اختصهم الله بالوحي ، قال تعالى ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُـــو إلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي)) وقال تعالى ((ومَنْ

أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إلَى اللَّهِ وعَــمِــلَ صَالِحاً وقَالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ))
وقال - صلى الله عليه وسلم - :"بلغوا عني ولــو آيـــة فرب مبلغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه". وقال : »لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم« ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : »من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على النفاق« .
وقال فريق آخر : إن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد ، والنبي من لم يوح إليه بشرع جديد. وإن أمر بالإبلاغ والإنذار(2).
ولا أعلم لهؤلاء دليلاً على قولهم هذا إلا استقراء متفوضاً بمثل يوسف ، فقد كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم ، وداود وسليمان كانا رسولين ، وكانا على شريعة التوراة ، قال تعالى عن مؤمن من آل فرعون : ((ولَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً)) وقال تعالى ((إنَّا أَوْحَيْنَا إلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلَى نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وأَوْحَيْنَا إلَى إبْرَاهِيمَ وإسْمَاعِيلَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ وعِيسَى وأَيُّوبَ ويُونُسَ وهَارُونَ وسُلَيْمَانَ وآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً * ورُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ورُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)) [النساء:163-164].
وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في التفريق بينهما إلى أن الرسول هو من يبعث إلى مخالفين أي قوم كافرين ، فيدعوهم إلى الإسلام ، والنبي هو من يرسل إلى موافقين يقيم فيهم حكم الله الذي يعرفونه ويؤمنون به. قال في كتاب النبوات : »النبي هو الذي ينبئه الله ، وهو ينبئ بما أنبأ به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسله هو إلا أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول . قال تعالى ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلاَّ إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ))[الحج 52 ،53] ، وقوله ، ((مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ)) فذكر إرسالاً يعم النوعين، وقد خص أحدهم بأنه رسول ، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح ، وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء كشيت وإدريس وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً ، قال ابن عباس : »كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام« فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنون الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم ، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول ، وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة ، وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قضية معينة ، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يفهمه الله في قضية معنى يطابق القرآن ، كما فهّم الله سليمان حكم

القضية التى حكم فيها هو وداود ، فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره ، وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله من الخبر والأمر والنهي ، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، ولابد أن يكذب الرسول قومٌ ، قال تعالى : ((كَذَلِكَ مَا أَتَى الَذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)) ، وقال :((مَا يُقَالُ لَكَ إلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ)) . فإن الرسل ترسل إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم ، وقال : ((ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ القُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ولَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ * حَتَّى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ولا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ))، وقال: ((إنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا والَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ويَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ))، فقوله : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍ)) دليل على أن النبي مرسل . ولا يسمى رســـولاً عــنــد الإطلاق، لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »العلماء ورثة الأنبياء«.

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة انتهى [172-173].

هذه هي الآراء في التفريق بين النبي والرسول ، والثلاثة الأخيرة تفرق بينهما وهو الصحيح . وقال القاضي عياض : والصحيح والذي عليه الجماء الغفير أن كل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً (3).

الهوامش :

1- تفسير بن كثير ، 5/468.

2- الشفاء 1/488 ، وتفسير الآلوسي 17/157.

3- الشفاء 1/488.

خواطر في الدعوة

ثم يأتي سبع عجاف ...

محمد العبدة

عـنـدما يـتـاح لـلـدعـوة أن تـنـشط وتعبر عن نفسها ، وتنطلق في صفوف الناس لتنقذهم من الظـلـمـات إلى الــنـور، وتنقـلـهم من الجهل إلى العلم، وتأخذ بأيديهم إلى الحياة الكريمة، عـنـدما يـتـاح لها ذلك لماذا لا يسـتـطـيع أصحابها استثمار هذا الرخاء كما فعل نبي الله يوسف -عليه السلام- عندما علم أنه سيأتي بعد الرخاء سبع عجاف. فأخذ للأمر أهبته واستعد له استعداد الحازم البصير. ولم يموه على نفسه وعلى الناس ويطمئنهم بأن الأمور تسير إلى الأحسن ، بل صارحهم وبين لهم .

ونحن نعلم أن الله -سبحانه وتعالى- يبتلي المؤمنين بسنوات عجاف ليخرجوا من المحنة أكثر مضاء وصفاء، وأكثر خبرة ودراية، فيستغلوا كل ظرف ومناسبة للسير بالدعوة خطوة أو خطوات إلى الأمام ، ونحن نعلم ما يخطط له الأعداء من مكر الليل والنهار ، وما يفعله الذين لا يــكـفــون عن البطش والقهر وكأنهم الوحش الذي ولغ في الدماء فهو يتلذذ بها ، فإذا أبعد الله هــؤلاء وأراح مـنـهــم العباد والبلاد فليهتبل المسلمون الفرصة وليضاعفوا من نشاطهم ويرسخوا أقدامهم.
لقد أتيحت للمسلمين فرصة في صلح الحديبية فاستغلها الرسول -صلى الله عليه وسلم- أحسن استغلال ، ووافق على الشروط التي ظاهرها لمصلحة قريش ، وتمكن المسلمون بعدها من نشر الدعوة والتجوال بين القبائل لا يردهم أحد ، وفي فترة قصيرة تضاعف عدد المسلمين ، فالذين حضروا الحديبية كانوا ألفاً وأربعمائة ، والذين حضروا فتح مكة بعد سنتين كانوا عشرة آلاف ، وهذا الصلح هو الفتح المقصود بالآية ((نا فتحنا لك فتحا مبينا *)) فهو فتح بالفرصة التي أتيحت للدعوة ، فأقبل الناس على دين الله أفواجاً.
إن عرض الإسلام في جو من هدوء الأعصاب وحرية الحوار بالحجة والكلمة الطيبة سيكون له أبلغ الأثر في صفوف الآخرين، ذلك أن الحق له قوة ذاتية يظهر بها على الباطل، فإذا أحسن العرض واختير الوقت المناسب، وكان الداعية عالماً بما يدعو له، فطناً أريباً قد فقه مقاصد الإسلام ومراميه ، جاءت النتائج طيبة بإذن الله.
أما تضييع الفرص بسبب حسن ظننا الذي لا حدود له ، وأنه لن يأتي ما يزعجنا ويعكر صفو راحتنا ، وأن الأمور تسير كما نريد ، فليس وراء هذا إلا العجز والندم. وقد تستغل الفرصة بأعمال ضعيفة ليس لها أثر يذكر ، وتمضي الأيام والسنون دون القيام بعمل ترتاح له نفس المسلم ويبنى عليه ما بعده ، ولا يحتاج كل جيل للبدء من جديد والرجوع إلى نقطة الصفر ، ومتى يشفى صدر المؤمن إذا كانت كل الجهود والطاقات تذهب للتكديس لا للبناء .

دعوة إيمانية

عبد الرحمن عبد الله

أنزل الله كتابه وأرسل رسوله -صلى الله عليه وسلم- ليبين للناس غايتهم في هذه الدنيا ، وهي عبادة الله كما أراد ((وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ)) ، ولله سبحانه وتعالى على العبد عبودية في الضراء ، كما له عبودية في السراء ، وله عبودية عليه فيما يكره ، كما له عبودية فيما يحب ، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون ، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره ، ففيه تفاوت مراتب العباد ، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى.

فالوضوء بالماء البارد في شدة الحرارة عبودية ، كما أن الوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية ، ولكن فرق عظيم بين العبوديتين ، فمن كان عبداً لله في الحالتين قائماً بحقه في المكروه والمحبوب فذلك الذي تناوله قوله تعالى : ((أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)) [الزمر:25] وفي القراءة الأخرى : عباده.
فالكفاية التامة تكون مع العبودية التامة ، والناقصة مع الناقصة ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه (1).
وإن من أنواع العبادة التي ركّز الإسلام عليها ونبه إلى أهميتها "ذكر الله عز وجل" . ومعلوم أن المسلم يبحث عن أفضل الأعمال عند الله فيعمل بها ، وقد روى لنا الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- في مسنده من حديث معاذ -رضي الله عنه- قال ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: »ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم . قالوا : بلى يا رسول الله ، قال :ذكر الله عز وجل«(2).
وأمـا الـتـفـضـيل بـيـن الـذاكـر والمـجـاهـد، فالذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد، والمـجـاهـد الـغـافل، والذاكر بلا جهاد ، أفضل من المجاهد الغافل عند الله تعالى فأفضل الذاكرين المجاهدون ، وأفضل المجاهدين الذاكرون.
وقد جاء رجل يشكو إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كثرة شرائع الإسلام عليه ، وطلب منه ما يتمسك به، ليصل به إلى الجنة، وذلك من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة، ولا أستطيع الـقـيـام بكلها، فأخبرني بما شئت أتشبث به ولا تكثر علي فأنسى، وفي رواية: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ ، وأنا قد كبرت ، فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال : »لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى« (3).
فهذا الحديث يدلُّ دلالة واضحة على أن الذكر من أهم ما يعين المسلم على العمل بشرائع الإسلام وفهمها ، وعلى الأعمال البدنية كما سيأتي قريباً -إن شاء الله تعالى- مذكوراً عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.
وليس المقصود جميع أنواع الذكر وأوقاتها ، ولكن المقصود التنبيه على بعض أنواعه التي وردت فيها فضائل عظيمة ، وذُكرت فيها مثوبة جليلة.
ومن هذه الأذكار ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، حيث وردت في فضلها أحاديث كثيرة ، نذكر ما صح سنده منها ، فأولها :
1- قوله -صلى الله عليه وسلم- : »أحب الكلام إلى الله تعالى أربع : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا يضرّك بأيهن بدأت« (4).
2- أخرج الإمام الترمذي عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم قال: »إن الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ، لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة« (5).

3- أخرج الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- في مسنده من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري -رضي الله تعالى- عنهما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : »إن الله اصطفى من الكلام أربعاً : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فمن قال : سبحان الله كتبت له عشرون حسنة ، وحطت عنه عشرون سيئة ومن قال : الله أكبر ، مثل ذلك ، ومن قال إله إلا الله مثل ذلك ، ومن قال الحمد لله رب العالمين من قِبَلِ نفسه كتبت له ثلاثون حسنة ، وحطت ثلاثون خطيئة« (6).
4- وأخرج الإمام الطبراني عن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- »ألا أدلك على ما هو أكثر من ذكرك الله الليل مع النهار ؟ تقول : الحمد لله عدد ما خلق ، الحمد لله ملء ما خلق ، الحمد لله عدد ما في السموات وما في الأرض ، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه ، والحمد لله على ما أحصى كتابه ، والحمد عدد كلّ شيء ، والحمد ملء كلّ شيء وتسبّح الله مثلهن ، تعلمهن وعلمهنّ عقبك من بعدك« (7).
5- وأخرج الإمام النسائي من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال : »خذوا جُنتكم من النار ، قولوا : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ، ومعقبات ومجنبات ، وهن الباقيات الصالحات« (8).
6- وأخرج الإمام أحمد من مسند سمرة بن جندب أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : »خير الكلام أربع ، لا يضرك بأيهن بدأت ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر«(9).
7- وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »لأن أقول سبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر ، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس« (10).
8- وأخـرج ابـن مـاجـه والـحـاكـم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قـال رسـول الله صـلـى الله عـلـيه وسلم: »ألا أدلك على غراس، هو خير من هذا؛ تقول: سـبـحـان الله، والـحـمـد لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكـبـر، يـغـرس لك بكل كلمة منها شجرة في الجنة« (11).
9- وروى الترمذي من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »لقيت ليلة أسري به إبراهيم الخليل -عليه السلام-، فقال: يا محمد أقرئ السلام أمتك، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر«.
فانظر يا أخي الكريم إلى ما ورد في فضل هذه الكلمات الأربع ، وإلى سهولة هذه العبادة ، أفلا يكون من عرف هذا الخير ثم غفل عنه من أزهد الناس في العمل الصالح ؟! بلى والله إنه لكذلك ، فلا تكن منهم!.

وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية أنّ لذكر الله أكثر من مـائـة فـائـدة ذكـر مـنها في الـوابـل الصيب ثمان وسبعون فائدة ، نذكر منها اثنتين لأهميتهما ، وهما اختصاراً :
الأولى : أن دوام ذكر الرب -تبارك وتعالى- يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده ، فإن نسيان الرب-سبحانه وتعالى- يوجب نسيان نفسه ومصالحها ، فمن نسى الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب في الآخرة.
وما يجازى به المسيء من ضيق الصدر، وقسوة القلب، وتشتته، وظلمته ، وغمّه ، وهمّه ، وحزنه ، ما هي إلا عقوبات عاجلة ، ونار دنيوية ، وجهنم حاضرة ، والإقبال على الله تعالى، والإنابة إليه ، وامتلاء القلب من محبته ، واللهج بذكره ، والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل ، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة
وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل الجنة الآخرة.
وقال لي مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه.
وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من الحبس من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وأسرّهم نفساً تلوح نضرة النعيم على وجهه.
وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ، ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحاً ويقيناً وطمأنينة. (12)
الثانية : أنّ الذكر يعطي الذاكر قوة ، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه ، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه، وكلامه وإقدامه، وكتابه أمراً عجيباً فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر ، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً .(13)
والمسلم الذي عرف رسالته ، يجد من التكاليف والمسئولية الملقاة على عاتقه ما يأخذ يومه وزيادة ، بل إنه يحتاج أن يكون يومه أكثر من أربع وعشرين ساعة.
وكنت كثيراً ما أتعجب من كثرة ما صنف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- مع سعة علمه ، فقلما تمر مسألة إلا وله فيها تصنيف أو فتوى أو رسالة أو .. أو .. أضف إلى جهاده في سبيل الله ، وسفره ، وإلى تعليمه لطلبة العلم ، وإلى مناقشته لأهل البدع ، وإلى الحقوق التي لنفسه على نفسه ، والتي للخلق عليه ، والتي.. والتي..؟! سبحان الله متى تيسر له فعل كل هذا ، ومتى تيسر له أن يتعلم كل هذا العلم؟!.

وإنني لأرى أن من أسباب ذلك بعد توفيق الله له وإعانته ، أرى كثرة ذكره لله أكبر عامل ساعده على هذه الأمور.
هذا .. وفي الختام أحب أن أذكر حديثاً ينبغي لكل مسلم حفظه وتطبيقه، وهو ما رواه ابن ماجه -رحمه الله تعالى- عن عبد الله بن بسر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لهم: »طوبى لمن وجد في صحـيـفـته اسـتـغـفـاراً كثيراً« (14).
اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك، ونسألك اللهم الإخلاص والصدق في القول والعمل . والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش :

1- الوابل الصيب لابن القيم (6-7).
2- أحمد في مسنده 5/239.
3- أخرجه الترمذي (3372) ، والحاكم 1 / 495 وصححه ، ووافقه الذهبي.
4- أخرجه مسلم من حديث جابر 3 / 1685.
5- الألباني في صحيح الجامع برقم (2601).
6- أخرجه أحمد 2 / 302 ، 3 / 25 - 27 ? صحيح الجامع رقم (1718).
7- صحيح الجامع ، رقم (2615).
8- صحيح الجامع ، رقم (3214).
9- صحيح الجامع ، رقم (3284).
10- صحيح الجامع ، رقم (5037) ، ومسند أحمد 5 /10.
11- أخرجه ابن ماجه (3807) ، وصحيح الجامع (2613).
12- الوابل الصيب (58)
13- الوابل الصيب (97).
14- انظر صحيح الجامع رقم (3630).

في الصحيح غُنية
عن الضعيف والموضوع
من الأخبار والآثار

الشيخ : مقبل بن هادي الوادعي

قال أبو نعيم - رحمه الله - في الحلية (4/139) حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث (ح (1)) وحدثـنـا سـلـيمان بن أحمد ، ثنا محمد بن عون السيرافي المقري، قالا : ثنا أحمد بن المقدام ، ثنا حكيم بن خذام أبو سمير، ثنا الأعمش، عن إبراهيم بن يزيد التيمي ، عن أبيه ، قال :

وجد علي بن أبي طالب درعاً له عند يهودي التقطها فـعـرفـهـا فقال : درعي سقطت عن جمل لي أورق . فقال اليهودي. درعي وفي يدي ، ثم قال له اليهودي :بيني وبينك قاضي المسلمين ، فأتوا شريحاً ، فلما رأى علياً قد أقبل تحرف عن مـوضـعه وجلس علي فيه ثم قال علي : لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس ، ولكني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : لا تساووهم في المجلس وألجئوهم إلى أضيق الطرق ، فإن سبوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم . ثم قال شريح : ما تشاء يا أمير المؤمنين ؟ قال : درعي سقطت عن جمل أورق ، والتقطها هذا اليهودي . فقال شريح ما تقول يا يهودي؟ قال درعي وفي يدي. فقال شريح : صدقت والله يا أمير المؤمنين . إنها لدرعك ولكن لابد من شاهدين ، فدعى قنبراً مولاه والحسن بن علي وشهدا : إنهما لدرعه. فقال شريح : أما شهادة مولاك فقد أجزناها، أما شهادة ابنك لك فلا نجيزها . فقال علي: ثكلتك أمك، أما سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. قال اللهم نعم . قال: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟ والله لأوجهنك إلى "بانقيا" (2) تقضي بين أهلها أربعين يوماً ثم قال لليهودي: خذ درعك . فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين، فقضى عليه ورضي، صدقت -والله- يا أمير المؤمنين إنها لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فوهبها له علي، وأجازه بتسعمائة ، وقتل معه يوم صفين. السياق لمحمد بن عون ، وقال عبد الله بن سليمان فقال علي : الدرع لك ، وهذا الفرس لك ، وفرض له في تسعمائة ثم لم يزل معه حتى قتل يوم صفين.
غريب من حديث الأعمش عن إبراهيم ، تفرد به حكيم ورواه أولاد شريح عنه عن علي نحوه.
حدثناه محمد بن علي بن حبيش قال : ثنا القاسم بن زكرياء المقري قال : ثنا علي بن عبد الله بن معاوية بن ميسرة عن شريح . قال : لما توجه علي إلى حرب معاوية افتقد درعاً له ، فلما انقضت الحرب ، ورجع إلى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي يبيعها في السوق . فقال له علي : يا يهودي هذه الدرع درعي لم أبع ولم أهب . فقال اليهودي : درعي وفي يدي . فقال علي : نصير إلى القاضي ، فتقدما إلى شريح ، فجلس علي إلى جانب شريح ، وجلس اليهودي بين يديه ، فقال علي : لولا أن خصمي ذمي لاستويت معه في المجلس ، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : صغروا بهم كما صغر الله بهم . فقال شريح : قل يا أمير المؤمنين ، فقال : نعم إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي ، لم أبع ولم أهب . فقال شريح : ما تقول يا يهودي ؟ فقال : درعي وفي يدي . فقال شريح : يا أمير المؤمنين بينة. قال : نعم قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي . قال : شهادة الابن لا تجوز للأب .

فقال : رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ! سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . فقال اليهودي : أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه ، وقاضيه قضى عليه؟! أشهد أن هذا للحق ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الدرع درعك ، كنت راكباً على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين ، فوقعت منك ليلاً فأخذتها ، وخرج يقاتل مع علي الشُراة (3) بالنهروان فقتل.

تحقيق الرواية :

هذه القصة قرأتها في سبل السلام للصنعاني عازياً لها إلى الحلية ، وأعجبت بها ، وكنت آنذاك لا أميز بين الصحيح والموضوع، وقد ارتسمت في ذهني، لما اشتملت عليه من العدل والإنصاف من أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- ، وقاضيه شريح بن الحارث الكندي -رحمه الله- ، وبعد زمن طويل طالعت في كتاب الأباطيل للجوزقاني فإذا هو يذكر القصة في الأباطيل . ولما رأيت الناس معجبين بهذه القصة كما أعجبت بها ، فذاك يلقيها في محاضرته ، وآخر ينشرها في مجلته ، وآخر يذكرها في كتابه ، والقصة لا تصح ؛ رأيت أن أذكر ما قال أهل العلم في هذه القصة ، فالجوزقاني -رحمه الله- ذكرها في الأباطيل (2/197) وقال (ص 198) : هذا حديث باطل تفرد به أبو سمير وهو منكر الحديث . إلى آخر ما ذكره.

وذكرها ابن الجوزي في العلل المتناهية (2/388) وذكر نحو ما ذكره الجوزقاني.

وذكـرهــا الإمــام الــذهـبـي في ميزان الاعتدال في ترجمة أبي سمير حكيم ابن خذام (وقد تصحف في الحلية والأبــاطــيــل إلـى حزام) وذكر الحافظ الذهبي أن أبا حاتم قال : إنه متروك الحديث . وقال البخاري منكر الحديث ، يرى القدر . وقال القواريري : وكان من عباد الله الصالحين.

فعلم بهذا أنها ضعيفة جداً من طريق أبي سمير حكيم بن خذام.

وأما السند الثاني ففيه سقط أو تصحيف ، وهو من طريق علي بن عبد الله بـن مـيسرة عن شريح ، وعلي بن عبد الله بن معاوية لم يرو عن أبيه عن جده عـن شــريـح كما في الميزان واللسان ، فعلم بهذا أن في السند سقطاً أو تـصحـيـفـاً ، ثـم عـلـي بن عبد الله ذكر الإمام الذهبي عن أبي حاتم أنه كتب عنه قصة غير هذه أخبره بها . وقال : كتبت هذا لأسمعه من هذا الشيخ ، ثم تركته لأنه موضوع.

ثم وجدت القصة بالسند الثاني في أخبار القضاة لمحمد بن خلف الملقب بوكيع (2 / 194) فقال : حدثني علي بن عبد الله بن ميسرة بن شريح القاضي قال : حدثني أبي عن أبيه معاوية بن ميسرة عن شريح قال : لما رجع علي من قتال معاوية وجد درعاً له افتقده بيد يهودي يبيعها فقال علي : درعي ، لم أبع ولم أهب . فقال اليهودي : درعي وفي يدي ، فاختصما إلى شريح

فقال له شريح : هل لك بينة ؟ قال : نعم قنبر والحسن أبني . فقال شريح : شهادة الابن لا تجوز للأب . قال : سبحان الله رجل من أهل الجنة . فعلم بهذا أن في نعيم سقطاً أو تصحيفاً.
وسندها مظلم لم أجد في كتب الجرح والتعديل إلا ترجمة علي بن عبد معاوية بن ميسرة في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم قال أبو حاتم : شيخ . ا هـ.
فعلم أن هذه القصة لا تثبت وعدالة الإسلام معلومة من غير هذه القصة الباطلة والحمد لله.

الهوامش :

1- رمز لتحول الإسناد.
2- اسم بلدة في العراق.
3- الشُراة : فرقة من فرق الخوارج.

قراءات تاريخية

اختيار : محمد العبدة

جاء في (الكامل) لابن الأثير في حـوادث سـنـة 500هـ عــن الصراع بين السلاجقة في عهد محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان وبين الباطنية :
" فلما صفت السلطنة لمحمد ، ولم يبق له منازع لم يكن عـنـده أمــر أهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم ، فرأى البداية بـقـلـعــة أصبهان التي بـأيـديهم ، فخرج بنفسه فحاصرهم في سادس شعبان واجتمع له من أصـبـهـان وسـوادهـا لحربهم الأمم العظيمة وأحاطوا بجبل القلعة.
فلما اشتد الأمر عليهم (على الباطنية) كتبوا فتوى فيها :
(ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين في قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن ما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- حق وصدق ، وإنما يخالفون في الإمام. هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم.، وأن يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل أذى) (1). فأجاب الفقهاء بجواز ذلك (2) وتوقف بعضهم. فجُمعوا للمناظرة (الفقهاء فيما بينهم) ومعهم أبــو الحسن علي بن عبد الرحمن السمنجاني، وهو من شيوخ الشافعية، فــقــال بمـحـضـر من الناس : يجب قتالهم ولا يجوز إقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين ، فإنـهــم يقال لهم : أخبرونا عن إمامكم ، إذا أباح ما حظره الشرع أو حظر عليكم ما أباحه الشرع ، أتقبلون أمره ؟ فإنهم يقولون : نعم ، وحينئذ تباح دماؤهم بالإجماع (3).
ثم إن الباطنية سألوا السلطان أن يرسل لهم من يناظرهم فصعدوا إليهم وناظروهم ، وعادوا كما صعدوا وإنما كان قصدهم (الباطنية) التعلل والمطاولة (4) ، فلجّ حينئذ السـلـطـان فـي حصرهم ، ثم أذعنوا إلى تسليم القلعة على

أن يعطوا عوضاً عنها قلعة (خالنجان) وطلبوا من الإقامة ما يكفيهم ، وقصدهم المطاولة(5) ، وحاولوا قتل أحد الأمراء فعندئذ جدد الحصار عليهم ، وأمر بإخراب قلعة (خالنجان).

ثم طلبوا أن ينزل بعضهم ويرسل السلطان معهم من يحميهم إلى قلعة الناظر (بأرجان) فأجيبوا إلى ذلك، ثم ظهر الغدر من ابن عطاش فزحف الناس مع السلطان وملكوا الموضع، وقتل أكثر الباطنية ، وكانت مدة البلوى بابن عطاش اثنتي عشرة سنة (6).

الهوامش :

1- يعنون أنفسهم، وهذا كذب منهم واحتيال، وهم ما سموا الباطنية إلا لإبطانهم الكفر، وهذا الأسلوب ليس غريباً عنهم .

2- هذه غفلة منهم ، وكيف يأخذون ظاهر الكلام ولا يعلمون من الذي كتب هذا ، وما هي سيرته وتاريخه ، ويظنون أن هذا من الأخذ بالظاهر ، ولم يعلموا أن سيرة الزنادقة غير هذا .

3- هذا هو الحق ، وهذا هو الفهم الصحيح للنصوص ، ولأغراض الإسلام ومراميه ، وليس الأخذ بحرفية الكلام.

4- يقصد التأخير لعلهم ينجحون بحيلة ما.

5- مرة أخرى ؟!!.

6- الكامل 10 / 434.

بأقلام القراء

قراءة في البيان

محمد عبد الله آل شاكر

الأخ الكريم الفاضل مدير تحرير "البيان" -سلمه الله-.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

* ففي وسط الضجيج الإعلامي وسبل الإصدارات الكثيرة من الصحف والمجلات المتنوعة -هنا وهناك- تأتي مجلة "البيان" التـي تـضـطـلـعـون بأعـبـاء تحريرها ، لتكون الصوت الإسلامي المتميز الذي يرفع راية الجهاد بالكلمة ، ولتكون صــوت الحق ومنبراً من منابر المنهج الأصولي لكل مسلم أياً كان موقعه ، كما أشرتم إلى ذلك فـي افتتاحية العدد الأول ، التي حددتم فيها منهج المجلة وخط سيرها ، وتلكم أهداف عـالـيـة وآفاق سامية ، نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيديكم لتحقيقها من خلال جهدكم وجهادكم ، وأن يـمـدكم بعون من عنده.

* وقد قرأت باهتمام بالغ الأعداد الأربعة التي صدرت ، وقد كانت حافلة بمادة طيبة ، وبحوث علمية متخصصة في جوانب عديدة من علوم الشريعة ؛ فالدراسة القيمة حول التجديد ، تجمع بين العمق والأصالة وإشراقة الأسلوب

وحلاوة إيمان الكاتب التي تظهر من خلال بحثه ، ولم يعوزه التوثيق الدقيق لكل فكرة ، بل ولكل كلمة أحياناً ، وهذه ميزة طيبة ، على ألا تطغى الهوامش على المتن ، فمزيداً من الأبحاث الجادّة كهذا البحث ، والله يوفق العاملين المخلصين!.

* وأما ما دبجته براعة الشيخ محمد صالح العثيمين فقد جاء في إبّانه ، فرسم بعض معالم المنهج الذي ينبغي أن نتخذه من الخلاف الفقهي دون أن يعدو أحد المختلفين على الآخر ، ثم عالج في مقاله الثاني قضية خطيرة في الاقتصاد ، وهي (الربا) ورسم طريق الخلاص وحذر من أسباب الحرب التي أعلنها الله تعالى على المرابين ، وكشف بعضه حيلهم في ذلك ، وهو لا يزال بحاجة إلى فضل بيان ، لعل الله تعالى يهيئ مرة ثانية العودة إليه ، لما له من خطورة بالغة في حياة المسلمين.

* وقد أعجبت بهذه "الخواطر في الدعوة" التي سجلها الأخ أبو أنس بأسلوب مشرق وبيان عذب ، وروح مؤمنة ، تظهر فيها الغيرة على "هذه الشريعة العربية" دون إجحاف أو عصبية !! ونأمل أن يستمر الكاتب في تسجيل خواطره وتأملاته !.

* وأما زاوية "الأدب والتاريخ" فالحاجة إليها ملحة ، وكانت التفاتة طيبة من المجلة لبيان موقع الأدب في الثقافة الإسلامية المعاصرة" والدعوة بحاجة إلى العناية بالأدب بشتى فنونه وتوظيفه لخير الدعوة والارتقاء بها، وما أعظم تأثير الكلمة الطيبة المشرقة والأسلوب الرصين في النفوس ، ولنا في كتابات أئمة الدعوة وقادتها ما يشير بوضوح إلى هذه الحقيقة متمثلة بما كتبه الأستاذ ســيـد قطب -رحمه الله- ، وبما تركه الأستاذ السباعي -رحمه الله- من تراث رائع ، وغيرهما من الكتاب الإسلاميين والدعاة ، وهم بحمد الله كثيرون ونأمل أن تكمل "البيان" تلك الجهود البناءة المشكورة.

ومن خلال هذه الزاوية نظرنا إلى الجاهلية في الشعر الجاهلي وتعرفنا على مــلامحــهــا، ولعل البحث يسلمنا -بعدها- لنتعرف على جوانب من الأدب الإسلامي بمفهومه الواسع.

وقد أقامت هذه الزاوية ، أو ساهمت في محاولة إقامة منهج لكتابة تاريخنا الإسلامي من وجــهـــة الـنـظــر الإسلامية لتكشف الزيف وتهتك الأقنعة التي يتستر وراءها الهدامـون والمغرضون والمشككون في تاريخنا الإسلامي العظيم الذي نعتز به ونقدمه للأجيال "وسـيـلة إيضاح لمبادئ الإسلام الواقعية المثالية، وأعني تاريخنا الإسلامي بالتزامه بأحكام الإسلام.

* ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ولعل "شؤون العالم الإسلامي" تكون مما يعين المسلم على التعرف على أحوال إخوانه في أرض الله الواسعة، والاهتمام بهم، وفيها يجد كـل مـسـلـم فـي أي بـلـد سبباً يشده إلى المجلة لأنه يشعر باهتمامها بقضاياه ، فمزيداً من الاهتمام بذلك وعلى قدر الوسع والطاقة.

* أما الوجه الكالح للحضارة الغربية ، فإنه سوف يزيح الغـشـاوة عن أبصار وبصائر كثير من المخدوعين بحضارة القرن العشرين وجاهليته.
* وهذه الإشارات التنويهية بما سبق لا يعني تقليلاً من أهمية غيرها، وهنا أجد لزاماً علي أن أشير إلى بعض ما أراه نصيحة خالصة -إن شاء الله- لمجلتنا :
- إذ يجب العناية بالإخراج ليتفق المضمون والشكل معاً ، من حيث كتابة العناوين ومن حيث الحرف وتنسيق الموضوعات وإخراجها ، ولا أرى ضيراً من الإفادة من تجارب بعض المجلات الأخرى.
- استغلال أجزاء الصفحات في نهاية المقالات التي لم تستوعب الصفحة الأخيرة من كل مقال بنشر كلمات خفيفة أو حكم .. أو غير ذلك تتناسب مع مـستـويــات القارئ العادي الذي قد لا يهتم بالبحوث العلمية ..
- حبذا لو كان في المجلة زاوية ثابتة عن : آية وحديث يعالج كل منهما بأسلوب مركز موجز قضية عقيدية أو فكرية أو سلوكية ، وقد نشر بعض ذلك في بعض الأعداد.
- استكتاب عدد من الكتاب والمفكرين ، وقد بدأ ذلك يظهر في الأعـــداد الأخيرة كالعدد الرابع، وذلك يثري المجلة بأفكار الكتاب الإسلاميين ويجعل المجلة مجلة كل المسلمين، ويغطي مساحة واسعة من أرض المسلمين.
- حبذا لو كان هناك اهتمام ببيانات التوزيع ووكلاء المجلة في كل بلد ، وبـيـان بـعــض المعلومات الضرورية ، ويأتي في المرتبة الأولى من الأهمية : انتظام صدور المجلة وتوزيعها في الأسواق .. ونرجو أن يكون ذلك خطوة أولى تمهد لصدورها شهرياً إن شاء الله تعالى.
هذا وأضرع إلى الله تعالى أن يوفقكم ويبارك جهدكم وجهد جميع الأخوة العاملين ، ويحقق على أيديكم ما يصبو إليه قراؤكم في شتى ديار المسلمين ، وان يهيئ أيضاً من الأخوة القراء ما يحملهم على المشاركة في المجلة ..
وأرجو ألا أكون قد أثقلت عليكم ، فاقتطعت جــزءاً من وقتكم ، ولكن إخلاصي وحرصي دفعني إلي ذلك.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً

عثمان جمعة ضميرية

إن كل دين من عند الله تعالى يتضمن جانبين اثنين: العقيدة، والشريعة، إذ أن من طبيعة الـديـن الـربـانـي أن يـتـضمن تنظيماً لحياة الناس بالتشريع، وأن لا يقتصر على الجانب العقدي وحده،ولا على الجانب التهذيبي أو الأخلاقي وحده، ولا على المشاعر الوجدانية وحدها ، ولا على العبادات والشعائر وحدها كذلك.

فما الدين إلا منهج الحياة الذي أراده الله تعالى للبشر ، فهو يربط حياة الناس بمنهج الله تـعـالى ، ولا يمكن أن ينفـك عنصر العقيدة الإيمانية عن الشعائر التعبدية ، ولا عن القيم الخلقـية، ولا هذا وذاك عن الشعائر والأحكام الـتـنظـيمية، في أي دين يريد أن يصرِّف حياة الناس وفق المنهج الإلهي..
وأي انفـصـال لهذه المـقـومات يـبـطـل عمل الدين في النفوس، كما يبطله في الحياة، وهذا يخالف مفهوم الدين وطبيعته كما أراده الله تعالى.
وإذا كانت العقيدة واحدة لا تختلف؛ فإن الشريعة لكل قوم ، مباينة لغيرها من الشرائع ، مختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ، ثم يجعله الله تعالى حلالاً في الشريعة الأخرى ، وبالعكس ، وقد يكون خفيفاً في شريعة ، فيزداد في الشدة في شريعة أخرى ، وقد تختلف طرق العبادة نظراً لاختلاف الناس وطرق تعليمهم ، باختلاف استعداداتهم وظروف بيئتهم في مختلف العصور والأزمان ، إذ أن الشريعة تأتي لتلبية حاجات الناس ، وفق علم الله -سبحانه وتعالى- الذي يعلم ما يصلح للبشر في مكان وفي كل زمان ، وهذه الحاجات قد تختلف من أمة لأخرى ومن زمن لآخر.
كما تختلف الشرائع في شمولها لبعض الأحكام مما لم يكن منصوصاً عليه في شريعة سابقة خاصة؛ لأن كل شريعة لاحقة إنما جاءت مكمِّلة أو موضحة لشريعة سبقتها ، أو مصححة لما وقع فيها من انحراف.
ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما جاءت به شريعتنا الإسلامية من تعاليم ، مما لم يكن في الشرائع السابقة ، مما يحتاج إليه الناس في حياتهم اليومية ، وفي روابطهم الشخصية ، ومعاملاتهم ، بعضهم مع بعض ، فردية كانت هذه المعاملات أو جماعية ، كبيان أحكام البيع والإجارة في العقارات والمنافع.. وغير ذلك من ضروب المعاملات.
وهذا الاختلاف بصوره المتنوعة ، إنما يقتضيه ما لله -سبحانه وتعالى- من الحكمة البالغة والحجة الدامغة في اختلاف صور العبادات والشرائع باختلاف استعداد الأقوام ومقتضيات الزمان والمكان.
وقد أشار الله -سبحانه وتعالى- إلى كثير من هذه المعاني، فقال عن عيسى -عليه السلام:
((ومُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ولأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ))[آل عمران:50]. وقال -سبحانه وتعالى- عن دعوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ورسالته : ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والإنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَاهُمْ عَنِ المُنكَرِ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ ويَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ والأَغْلالَ الَتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)) [الأعراف:157].

وقال الله تعالى أيضاً : ((يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ ويَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُّبِينٌ)) [المائدة:15].

ثم يضع الله -سبحانه وتعالى- قاعد عامة فيقول : ((ولِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [البقرة:148].

فكل أهل دين لهم قبلة ووجهة ، فلليهودي وجهة هو موليها ، وللنصراني وجهة هو موليها ، وقد هداكم الله تعالى -أيها المسلمون- إلى القبلة الجديرة بأن تتوجهوا إليها ، وثم وجه الله.

وهذا شبيه بقول الله -تبارك وتعالى- : ((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجاً ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً ولَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) [المائدة:48].

فقد جعل الله تعالى لكل أمة شريعة ومنهاجاً ، أي سبيلاً وسنة وطريقة ، وهذه السنن والطرق مختلفة : للتوراة شريعة ، وللإنجيل شريعة ، وللقرآن شريعة ، يحلل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ، ليبتلي بذلك عباده ، فيعلم من يطيعه ومن يعصيه ، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل الله تعالى غيره هو : التوحيد والإخلاص لله ، الذي بعث الله تعالى به رسله وأنبياءه -عليهم الصلاة والسلام-.

يدل على هذا المعنى : أن الله -سبحانه وتعالى- ذكر في سياق الآيات الكريمة السابقة ما كتبه على بني إسرائيل في التوراة ، وذكر بعد ذلك : أنه قفَّى بعيسى بن مريم على آثار الأنبياء قبله ، وأنزل عليه الإنجيل ، وأمر من بعثه إليهم بالعمل بما فيه ، كما أمر بني إسرائيل بالعمل بالتوراة ، ثم ذكر نبينا محمداً -صلى الله عليه وسلم- وأخبره أنه أنزل إليه الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ، وأمره بالعمل بما فيه ، والحكم بما أنزل إليه ، دون سائر الكتب غيره ، وأعلمه أنه قد جعل له شريعة غير شرائع الأنبياء والأمم قبله ، ممن قصَّ عليه قصصهم ، وإذ كان دينه ودينهم واحداً . فهم مختلفو الأحوال فيما شرع لكل واحد منهم ، ولأمته فيما أحل لهم وحرم عليهم ، فقال سبحانه وتعالى : ((إنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى ونُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا والرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ)) ، إلى قوله تعالى مخاطباً نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- : ((وأَنزَلْنَا إلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ ومُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجاً)) [المائدة:48].

ويقول الشيخ ولي الدين الدهلوي رحمه الله، في بيان هذا المعنى : إن أصل الدين واحد ، اتفق عليه الأنبياء -عليهم السلام-، وإنما الاختلاف في الشرائع والمناهج، وتفصيل ذلك:

أن الأنبياء جميعاً -عليهم السلام- ، قد أجمعوا على توحيد الله تعالى . عبادة واستعانة ، وتنزيهه عما لا يليق به ، وتحريم الإلحاد في أسمائه ، وأن حقَّ الله على عباده : أن يعظّموه تعظيماً لا يشوبه تفريط ، وأن يسلموا وجوههم وقلوبهم إليه ، وأن يتقربوا بشعائر الله إلى الله ، وأنه قدّر جميع الحوادث قبل أن يخلقها ، وأن لله ملائكته لا يعصونه فيما أمر ، ويفعلون ما يؤمرون ، وأنه ينزل الكتاب على من يشاء من عباده ، ويفرض طاعته على الناس .. فهذا أصل الدين ، ولذلك لم يبحث القرآن الكريم عن ماهيِّة هذا الأشياء -إلا ما شاء الله- لأنها كانت مسلَّمة فيمن نزل القرآن الكريم بألسنتهم .إنما الاختلاف وقع في صور هذه الأمور وأشكالها ، فكان الرجم في شريعة موسى -عليه السلام- ، وجاءت شريعتنا بالرجم للمحصن ، والجلد لغيره . وجاء في شريعة موسى القصاص فقط ، وجاءت شريعتنا بالقصاص والدية جميعاً .. وعلى ذلك اختلافهم في أوقات الطاعات وآدابها وأركانها.
وبالجملة : فالأوضاع الخاصة ، مُهِّدت وبينت بها أنواع البر والارتفاقات هي الشرعة والمنهاج (1)
ولكن الشرعة والمنهاج الذي لا يقبل الله تعالى غيره هو ما أمر الله تعالى محمداً -صلى الله عليه وسلم- ، لأن شريعته هي كلمة الله الأخيرة ، التي جعلها الله تعالى له ولأمته إلى قيام الساعة . وقد جاء الأمر بذلك من الله -سبحانه وتعالى- ، فأمره أن يحكم بهذه الشريعة التي جعلها الله تعالى له ، من بعد الذي آتاه بني إسرائيل ، الذين وصف الله تعالى لنبيه صفتهم في اختلافهم بغياً بينهم ، فقال سبحانه وتعالى :
((ولَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إسْرَائِيلَ الكِتَابَ والْحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ورَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى العَالَمِينَ * وآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَذِينَ لا يَعْلَمُونَ)) [الجاثية:16-18].
ولن يفوتنا هنا أن نشير إلى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بيَّن لنا أن أصل دين الأنبياء واحد ، وإن كانت شرائعهم مختلفة ، كما أنَّ أولاد العلاّت أبوهم واحد ، وإن كانت أمهاتهم شتى ، فقال -صلى الله عليه وسلم- :
»أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة« قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : »الأنبياء إخوة من عَلاّت ، وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وليس بيننا نبي« (2).

الهوامش :

1- حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي : 1/86-88.
2- أخرجه البخاري ومسلم.

مشاهداتي في بريطانيا

عندما تصطدم المرأة مع فطرتها !!

د. عبد الله مبارك الخاطر

إن نسيت فلن أنسى خلال إقامتي؛ في ديار الغرب صورتين متناقضتين غاية التناقض لامرأة مشهورة تعمل في المحاماة.

الصورة الأولى: توفرت في هذه المرأة الصفات التالية: قوة البنية، ذرابة اللسان، الحماسة لما تؤمن به وتعتقده، النشاط الدائب: فمرة تقرأ مقالاتها في الصحف، ومرة أخرى تسمعها تتحدث في التلفاز وتقارع فحول الرجال الحجة بالحجة .. ومرة ثالثة تستمع إليها في المحاكم تدافع عن القضية التي نذرت نفسها من أجلها.

قد يظن القارئ الكريم أنها محامية لشركة من الشركات أو لمؤسسة من المؤسسات . لا يا أخي . إن عملها الوحيد الدفاع عن حقوق المرأة ومساواتها بالرجل ، ولهذا تجد عندها إحصائيات عجيبة عن الوزارات والمؤسسات والشركات وعن نسبة الرجال والنساء في كل منها .. وكم أرغمت هذه الجهة أو تلك على قبول عدد من النساء وفصل الزيادة من الرجال .. وكم ربحت الحكم ضد شركات أقدمت على تسريح مجموعة من النساء بسبب عدم الحاجة إليهن ..

كانت هذه المرأة ذائعة الصيت ، ولها مكانة كبيرة في المجتمع الغربي ، كما كانت مثالاً يحتذى به للنساء بل وللرجال الذين ينادون بالمساواة المطلقة بين الجنسين.

الصورة الثانية : صورة هذه المرأة وهى مريضة ، وقد حولها طبيبها الخاص إلى قسم الطوارئ في مستشفى الأمراض النفسية الذي كنت أعمل به ..

وقد شاهدت بعيني مشهداً يختلف تماماً عن المشهد الذي يراه الناس على شاشة التلفاز أو في قاعة المحكمة :

شاهدت امرأة ضعيفة منهارة محطمة تشعر أنها تعيش وحدها في هذه الدنيا ، ليس لها ابن ولا زوج ولا أخ ولا والد .. أما النساء فيعرفنها محامية قوية تدافع عن حقوقهن ، ولا حاجة لهن بها إذا كانت مريضة في المستشفى ، أو مقعدة في بيتها ، أو في مأوى العجزة .. كنت أعرف مشكلتها قبل أن أسألها ومع ذلك سألتها حيث لابد من سؤال المريض والاهتمام بكل ما يقوله .. قلت لها : ما مرضك وبماذا تشعرين ؟ فأجابت :

»أريد رجلاً يشاركني الحياة ويقول لي : لا !! .. لقد مللت الحياة التي عشتها ، والعمل الذي اخترته«.

هذا مرضها أنقله بأمانة ودقة .. وقد قمت بواجبي وأعطيتها العلاج اللازم للمصاب بحالة "اكتئاب" ولكنني أشعر بأنها لن تشفى من هذا المرض لأنها لن تجد رجلاً عاقلاً يغامر بحياته وعقله ويتزوجها ، وإذا وجدت فسوف يكون من أشباه الرجال ولن يقول لها . "لا !!" ومثل هذا الرجل لا يحل مشكلتها .. ومن جهة ثانية ، فلو شفيت من مرضها وعادت إلى عملها السابق ، فسوف تعيد سيرتها الأولى لأن أمثالها يبحثن عن الشهرة والطبع عندهن يغلب التطبع .. فهي تريد أن يتحدث الناس عنها مهما كانت النتائج . أرأيتم المرأة عندما تصطدم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ؟!.
قال تعالى : ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) [الروم : 30].
والمشكلة أن الناس شاهدوا هذه المرأة بكامل قوتها وذرابة لسانها ولم يروها وهي على فراش المرض تشكو من المرض النفسي : [الاكتئاب] ، وكان إعجاب الخادعين والمخدوعين بها هو سبب مرضها ، ومصدر شقائها وبؤسها وقهرها ، وهذا الذي شاهدته بنفسي ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومن أراد مزيداً من الأدلة فليبحث عن نسبة الذين يعانون من أمراض نفسية من النساء الشهيرات في ديار الغرب ، بل وفي ديارنا.
إن قوامة الرجل في بيته خير له ولزوجه وأولاده ، والتنازل عن هذه القوامة للمرأة جحيم لها لا يطاق ، ومساواة المرأة مع الرجل أكذوبة ابتدعها أعداء المرأة من اليهود والصليبيين والشيوعيين وسائر العلمانيين الملاحدة ، وجميع الإحصائيات الحديثة تؤكد فشل هذه الأسطورة.
((فَلْيَحْذَرِ الَذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [النور : 63].

من شذرات القلم

اختيار : مازن محمد راغب

بركة الطاعة

عن أنس قال : اشتكى ابن لأبي طلحة ، فمات ، وأبو طلحة خارج ولم يعلم بموته ، فلما رأت امرأته أنه قد مات ، هيأت شيئاً ونحته في جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ، فظن أبو طلحة أنها صادقة ، ثم قربت له العشاء ووطأت له الفراش ، فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته بموت الغلام ، فصلى مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ثم أخبره بما كان منها ، فقال النبي : لعله أن يبارك الله لكما في ليلتكما ، فجاءهما تسعة أولاد ، كلهم قرأوا القرآن.
أخرجه البخاري

كذبة كبيرة

.. وما أتفه تلك الكذبة الكبيرة التي قالت إن الطائرة اليوم قد قربت أقطار العالم بعــضها إلى بعض ، ومن ثم أحس الناس بقرب المكان ووحدة الإنسان ، ووجوب الــتــعــاون بـين البشرية ، أو كما قالوا : صار العالم أضيق من أن يتنازع فيه.
ما أتفه هذه الكذبة الكبيرة ، أفلا ينظر الناس حولهم وهم يتكلمون ؟
الــســـــلام هو الذي يسود العالم اليوم بعد أن قربته إلى بعض الطائرة والصاروخ ؟ أم هو النزاع البشع الذي لم يحدث له مــثــيــل في التاريخ؛ إنها المشاعر من الداخل، وليست الطائرة وليس الصاروخ، ومن ثم كانت العقائد هي أضخم شيء في حياة البشرية، فهي المحرك الذي يحرك النفس من الداخل . هي الموجه إلى شتى صفوف العمل وصفوف السلوك وصفوف الوجدان.

معركة التقاليد / محمد قطب

العلم أكرم نسب

قال عمرو بن سليمان العطار :

كنت بالكوفة أجالس أبا حنيفة، فتزوج زفر بن الهذيل، فحضره أبو حنيفة فقال له:تكلم . فخطب فقال في خطبته :
»هــذا زفــر بـن الهـذيــل، وهو إمام من أئمة المسلمين، وعلم من أعلامهم في حسبه وشرفه وعلمه«.
فقال بعض قومه :
ما يسرنا أن غير أبي حنيفة خطب ، حين ذكر خصاله ، وكره ذلك بعض قومه ، وقالوا له :
حضر بنو عمك وأشراف قومك وتسأل أبا حنيفة يخطب ؟! فقال : لو حضر أبي قدمت أبا حنيفة عليه.

الانتقاء - لابن عبد البر

من أمثال العرب

أسـاء سـمـعـاً فأسـاء إجابـةً

وقصته أن سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي كان تزوج صفية بنت أبي جهل فولدت أنس بن سهيل فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهة فوقفا بحزورة مكة ، وأقبل الأخنس بن شريق الثقفي فقال : من هذا ؟ قال سهيل : ابني ، قال : حياك الله يا فتى ، أين أَمُّك؟ (أي : أين قصدك) فظن أنه يقول له : أين أُمُّك؟ قال : أمي في بيت أم حنظلة تطحن دقيقاً ، قال أبوه : أساء سمعاً فأساء جابةً (بمعنى إجابة) فلما رجعا قال أبوه : فضحني اليوم ابنك

عند الأخنس ، قال كذا وكذا ، قالت : إنما ابني صبي ، قال : أشبه امرؤ بعض بزّه ، فأرسلها مثلاً .

من مشكاة النبوة

منصور الأحمد

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز . وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ، وما شاء فعل . فإن لو تفتح عمل الشيطان«.

هذا الحديث من جوامع كلمه -صلى الله عليه وسلم- ، ويمثل -بما يتضمنه من المعاني والدلالات- منهجاً سلوكياً مبنياً على قاعدة اعتقادية واضحة وراسخة ، هذه القاعدة هي الإيمان بالقدر إيماناً صحيحاً بعيداً عن الاتكالية التي يهوي فيها كثير من المسلمين نتيجة الفهم الخاطئ لعقيدة القضاء والقدر ، مما يفتح الطريق لأعداء الإسلام لرميه بكل الصفات المُنَفِّرة ، ولوصم المسلمين كلهم بأنهم سلبيون واتكاليون وغير جديرين بأخذ زمام المبادرة في أي شيء ، ولاتخاذ هذه الشبهة فاتحة وخاتمة يفتتحون ويختتمون بها هجومهم على كل ما يمت إلى الإسلام بصلة.

يبدأ الحديث بتقرير حقيقة .لا ينبغي أن يعتريها الغموض ، ولا أن يحيط بها الشك وهي حقيقة التطلع إلى العلو ، والارتفاع عن الضعة والضعف ، والمجاهدة والمكابدة من أجل التخلص من كل ما يربط الإنسان بالأرض ، حقيقة القوة.

»المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير«.

هكذا على الوجه الذي يستغرق كل معاني القوة وكل معاني الخيرية ، دون استثناء ، فلا يشار في الحديث إلى نوع معين من معاني القوة ، ولا يحدد لها محتوى محدد تنحصر فيه ، كي لا تنجرف الشخصية إلى تقديس نوع بعينه من أنواع القوى ، فالمطلوب من المؤمن أن يكون قوياً في كل شيء ما وسعه ذلك . قوة في البدن ، وقوة في الحق.

وهذه القوة المفضلة المحبوبة من الله ليست غاية بحد ذاتها ، وإنما هي وسيلة لغاية أسمى ، فالمؤمن القوي أقدر على نشر الحق وتعريف الناس به ، سواء في قوة حجته أو قوة شخصيته وسلوكه.

والقوة التي يشيد بها النبي -صلى الله عليه وسلم- ويجعلها مناط التفضيل هي القوة المنبعثة من الإيمان ، والمؤسسة على القاعدة التي تعصمها من الشطط والتهور ؛ فتشيع الأمن في النفوس والاطمئنان في المجتمعات ،

وليست القوة التي تنطلق من عقالها لتهلك الحرث والنسل ، وتبث الرعب ، وتركب مراكب التدمير لتعبد الناس لها.
وحينما يستشعر المؤمن هذا المعنى تكبر نفسه ، وتتطلع دائماً إلى أفاق جديدة ترتادها ، فلا يكتفي بكلمة الإيمان يقولها بينه وبين نفسه ، بل يعمل بمقتضاها ولوازمها ، ويحملها للعالمين بقوة غير هياب ولا وجل ، يمثل الصف المؤمن بعزته فتترفع نفسه عن صغائر الأمور ، ولا تبالي بالصعاب التي تعترضها في سبيل عقيدتها . وكذلك من وجد في نفسه ضعفاً ، سواء كان موروثاً أو مكتسباً ، يحاول جاهداً أن يتخلص منه بالتدرب على التحمل والمعاناة ، وبمقدار ما يقطع من أشواط في تحرير نفسه من معرة الضعف والخنوع يكون حب الله له.
وحتى لا يطرح المؤمن الضعيف نفسه في مهاوي اليأس -حينما يدركه العجز عن السمو والارتفاع ، فينحط نازلاً إلى منحدر لا قرار له ؛- يبقي الرسول -صلى الله عليه وسلم- له شعلة الأمل مضيئة تنير نفسه ، فتقف بها عند الحد الأدنى وهو أصل الإيمان الذي يمسك نفسه ويجعلها تتطلع دائماً إلى الأفضل.
ثم يرسم الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- الخطة العملية من أجل تحقيق معنى القوة الــذي جـعـلــه مناطاً للأفضلية، وهو الحرص على ما ينفع. وما ينفع هنا تحدده الـغـايـة الأولى، وهي الإيمان، فكل ما يعود بالنفع على هذه الغاية النبيلة فالحرص عليه مطلوب ، والبحث من نيله مسعى كريم يثاب عليه المؤمن، حتى وإن أضيف إلى المؤمن نفسه، فالمؤمن هو الأداة الرئيسية التي أوكل الله إليها تنفيذ شرعه ، وإقامة دينه ، وكل ما يجـعـل هذه الأداة تقوم بعملها خير قيام فهو داخل في دائرة المطلوبات لله عز وجل ، وكل مــا يعوقها عن أداء هذه الأمانة وتبليغ هذه الرسالة فهو داخل في دائرة الـمـمـنـوعـات التي طلب إلى المؤمن اجتنابها.
ومن أجل أن لا يتكل المؤمن على نفسه ، ولا يغتر بقوته أبداً ؛ ومن أجل أن يظل على ذكر من خالقه ورازقه وواهبه كل المواهب والوسائل يطلب النبي -صلى الله عليه وسلم- منه أن يستعين بالله ، فكل عمل لا يستعان بالله عليه لا يبارك الله فيه ، لأنه يكون مصروفاً إلى غير مرضاة الله من الغايات النفسية كالأثرة وحب الجاه وإشباع الرغبات.
وقد جاءت جملة "واستعن بالله" على سبيل الاحتراس ، وذلك لكثرة ما يكتنف الأعمال والمساعي من نسيان هذا الأصل الاعتقادي الأصيل وهو الاستعانة بالله في الأمور كلها ، والتبرؤ من الحول والطَوْل إلا به -سبحانه وتعالى-.
وجاءت جملة "ولا تعجز" احتراساً ثانياً ، حتى يتضح المعنى المطلوب للاستعانة ، فلا تقتصر علي الاستعانة باللسان دون اتخاذ للأسباب ، ومع ذلك فإن كثيراً من الناس فهم الأوامر الشرعية معزولة عن سوابقها ولواحقها ، مقطوعة عن الظروف التي تحيط بها ، ومنفصلة عن الأساس الذي تنبثق منه . فكم من الناس من يحرص على ما ينفعه دون الاستعانة بالله ، فينحرف

بعمله عن غايته المطلوبة ، إلى غاية قصيرة المدى -كحب الذات- فيقع في دائرة الطمع والطغيان ! وكم من المسلمين من استحال به الأمر إلى أن لا يقابل متطلبات الدعوة إلى الله بغير الدعاء دون عمل ، بل دون التفكير بعمل ! ولا يقابل الصعوبات والكوارث النازلة بالمسلمين بغير الحوقلة والاسترجاع ، ولا شيء غير ذلك !. فينبغي أن تفهم هذه الجمل الثلاث على أنها معنى واحد متصل ، لا أنها ثلاث جمل منفصلة ، فطلب ما ينفع ، والحرص عليه يجب أن يكون محاطاً بالاستعانة بالله ، بعيداً عن العجز والخَوَر والضعف.

وكي يكون المؤمن إيجابياً دائماً ، بعيداً عن كل ما يوقعه في دائرة الندم الذي يشل الحركة ، ويكبل الفكر ، ويكدر الإحساس ؛ يطلب منه الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما يصيبه مكروه ، أو لا يتحقق له ما يريد - بعد أن يكون قد بذل جهده ، واستفرغ وسعه - أن يكف عن تقريع نفسه ، وأن يحررها من الأسف على ما مضى ، فما مضى لا يمكن أن يعود ، والتقريع لن يعيد مفقوداً ، ولن يصحح خطأ ، وقصاراه أن يلف النفس بغيوم من الهم تقتل الأمل ، وتغتال النشاط أو تجمده.

ذلك لأن المرء إذا صحت غايته ، وخلصت نيته ، وقام بالأسباب فليس من الضروري أن تترتب النتائج بناء على ما قدم من مقدمات ، لأن تقدير الله هو الغالب ، ومشيئته هي الماضية ، فلا ينبغي أن تتقطع النفس حسرات على تخلف النتيجة عن الفعل بعد استفراغ الوسع ، واستنفاد الأسباب.

وفضلاً عن أن هذا الأسف وهذا اللوم الذي يوجه إلى النفس لا يفيد شيئاً ، فإن فيه نوع اعتراض على قدر الله ، حيث ينظر المرء إلى الفعل وكأنه جهد شخصي معزول ، لا علاقة لمشيئة الله له ، وكذلك فيه تألٍّ عليه سبحانه وتعالى ، لذلك يحفز النبي -صلى الله عليه وسلم- المؤمن على أن ينأى بنفسه عن مثل ذلك فيقول :

»ولكن قل : قدر الله ، وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان«.

ولنا أن نتوقع أشياء كثيرة من أعمال الشيطان التي تفتحها كلمة : "لو" ونتصور احتمالات الشر على كثرتها عندما يسلم الإنسان قياده إلى الشيطان . فالشيطان لا يريد للمؤمن راحة البال ونقاء السريرة ، ولا يريد له أن يوجه جهده إلى عمل إيجابي منتج له ولفكرته ، ويحول بينه وبين تجاوز الخطأ ، ويسره أن يدور الإنسان المؤمن في حلقة متصلة من الأخطاء المتتابعة ولا يهتدي لمخرج من ذلك.

وهكذا يحدد الرسول الكريم للمؤمن الغاية والهدف ، ويسلحه بالوسيلة ، ويرسم له مجال العمل : قلب متصل بالله ومتجه إليه ، وجهد إيجابي يتطلع إلى الأحسن دائماً ، وأعمال تستمد فاعليتها عن تسديد الله لها ، ونفس

راضية تقابل المصاعب بالصبر والثبات ، وسد لكل ذرائع الشيطان التي يسهل تسلله منها.
فلله ما أَسَدَّ هذا الكلامِ ، وما أسمى هذا التوجيه ، ولسنا ندري -والله- بأي جانبيه نحن أشد إعجاباً : بوجازته وجمال سبكه ؟ أم بما احتواه من كريم المعنى وجليل المحتوى؟!.
فصلى الله وسلم على قائله ، وجمعنا به ، وسقانا من حوضه.

أدب وتاريخ

موقف الإسلام من العصبية القبلية

محمد الناصر

كيف عالج الإسلام العصبية القبلية؛ كيف عمل على تذويبها ؟ سؤال مهم يطرح نفسه، إذ كيف كان الفرد مشلول الإرادة ، مسلوب القوة أمام عبوديته لطغيان القبيلة ؟.
صحيح أن المرء ما كان يجد الأمن والاستقرار إلا في رحاب القبيلة، فهي البنية الاجتماعية المعتبرة ، في صحراء ينعدم فيها النظام والعدل ، والسلطة التي تحفظ الأمن.
إلا أن هذا لا يعتبر مبرراً كافياً ، ليلغي الفرد عقله ويسير حسب هوى القبيلة ، وجبروتها .. وقد مر معنا سابقاً قول دريد بن الصمة :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وعندما تحدثنا عن الشعر الجاهلي ، تبين لنا مدى قوة سيطرة روح القبيلة ، فهي المعبود المطاع ..
وفي صدر الإسلام كان لروح القبيلة ، ومجد الآباء والأجداد تأثير عجيب مما جعل قبيلة قريش وقبائل العرب تقف متجبرة متغطرسة أمام الحق الأبلج.

أ- قوة العصبية وسيطرتها على مجتمع الجاهلية :

»ذكر الزهري : أن أبا جهل وجماعة معه وفيهم الأخنس بن شريق، وأبو سفيان، استمعوا قراءة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الليل ، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا (أو تحاذينا) على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذا ؟ والله لا نؤمن به أبداً و لا نصدقه (1).
يستمع هؤلاء النفر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خلال ثلاث ليال - والرسول لا يعلم بهم- ثم يلتقون ويتعاهدون على عدم العودة والاستماع ،

فالقرآن يستهوي نفوسهم لكن العصبية حملت هؤلاء وأبا جهل خاصة على هذا الموقف المعاند الظالم.
أبو جهل هذا يقـتل في بدر، ويصعد فوقه عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه-، ويسأله: هل أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال : وهل فوق رجل قتله قومه ؟ (أي ليس عليه عار) . لأن قومه قتلوه ! (2) عصبية حتى عند الموت !.
وإســلام الحـمـزة بـن عـبد المطلب -رضي الله عنه- في السنة السادسة للبعثة كان بسبب نصرة ابن الأخ أولاً ، لأن أبا جهل اعتدى عليه.
قال ابن إسحاق (3) : »مر أبو جهل برسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند الصفا ، فآذاه ونــال مـنـه (ورسول الله ساكت) فقام رسول الله ودخل المسجد وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها على الصفا تسمع ما يقول أبو جهل ... فأخبرت حمزة ما سمعت من أبي جهل، فغضب ودخل المسجد، وأبو جهل جالس في نادي قومه فقال لهم (الحمزة): أتشتم ابن أخي وأنا على دينه ؛ ثم ضربه بالقوس فشجه شجة منكرة ، فــثــار رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة ، فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً ، فعلمت قريش أن رسول الله قد عز وامتنع.. فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه«.
إن قوة تأثير الـقـرابة ، وعصبية الدم كانت سبباً في إسلام حمزة -رضي الله عنه- .. وإن حـمـايــة أبـي طالب لرسول الله ، ودعوته بني هاشم وبني المطلب لنصرته -عليه الصلاة والسلام- كانت من هذا القبيل وحصار بني هاشم مؤمنهم وكافرهم في الشعب »وأن لا يقبلوا من بني هاشم صـلـحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموهم للقتل« . وقد لبثوا في شعب أبي طالب ثلاث سنين (4) كان مقاطعة ، لأعراف القبائل فيها تأثير كبير.
إن الإسلام استفاد من رابطة القبيلة في نشر الدعوة ، ولا مانع من استخدامها مظلة واقية ضد نيران مجتمع متعصب له تقاليده . وشعر أبي طالب في قصيدته اللامية (5) يبين مدى حمايته لرسول الله ، ومدى قوة رابطة العصبية رغم الخلاف في المعتقد :

ونُـسـلـمـه حـتـى نـصـرع حـولــه   نُــذهـل عـن أبـنــائــنا والحلائل
وأبـيـضَ يُـسـتـسـقـى الـغمامُ بوجـهه   ربـيـعُ الـيـتـامـى عـصـمةٌ للأرامل
فـــوالله لــولا أن أجـيء بـسـبـة (6)   تُـجـرُّ عـلـى أشـيـاخنا في المحافل
لـكـنــا اتــبــعــنـاه عـلـى كل حالة   مـن الـدهـر جداً غير قول التهازل

كان من الـعــار عندهم ألا ينصر القريب قريبه ، ولو خالفه في المعتقد ، ومن هنا وقف أبو طالب من ابن أخـيــه -عليه أفضل الصلاة والسلام- هذا الموقف المشرف ، فقد كان »لزاماً على العربي أن يقوم بـنـصــرة الأخ وابن العم أخطأوا أم أصابوا ، عدلوا أم ظلموا ، بمعنى أن الرجل كان يلحقه الـعــار ، إذا قعد عن نصرة أخيه أو ابن عمه ... ولذلك قالوا (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً). وهذا من حكمة الجاهلية .. فالنصرة عندهم هي الإعانة على الغير

أما في الإسلام فقد اعتبر من ضمن النصرة نصيحة الظالم لرده عن ظلمه...))(7).
إن الإسلام حرم نصرة الظالم ففي الحديث الشريف: »انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قيل: يا رسول الله .. فكيف أنصـره ظالماً ؟ قال عليه الصلاة والسلام: تمنعه من الظلم فذاك نصرك إيـــاه« (8).
لقد نفّر الدين الحنيف من إعانة العشيرة على الباطل ، وصور ذلك الفعل القبيح تصويراً مؤثراً ، يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- :"»مثل الذي يعين عشيرته على غير الحق مثل البعير ردي في بئر فهو يُنْزع بذنبه«" (9).

ب- كيف عمل الإسلام على تذويب العصبية :

عرفنا في الفقرة السابقة قوة العصبية في المجتمع الجاهلي وسنرى الآن كيف غير الإسلام هذه الروح، إذ بدأ بغرس ربطة الدين، ووشيجة العقيدة، وهى أساس كل تغيير .
»إن الـوشــيـجـة الـتـي يـتـجمع عليها الناس في هذا الدين، ليست وشيجة الدم والنسب، وليست وشيجة الأرض والوطن ، وليست وشيجة القوم و العشيرة ، وليست وشيجة اللون واللغة ولا الجنس والعنصر ، ولا الحرفة والطبقة إنها وشيجة العقيدة«.
»أما الوشائج الأخرى« فقد توجد ثم تنقطع العلاقة (بين الفرد والفرد...) .
يبين الله لنوح -عليه السلام- لماذا لا يكون ابنه من أهله ((إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)) فـوشـيـجــة الإيـمـان قد انقطعت بينكما ((فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)) إنه ليس من أهلك ولو كان هو ابـنـك من صلبك« (10).
»وامــرأة فـرعـــــون التي طلبت من ربها أن ينجيها من فرعون وعمله وأن ينجيها من القوم الظالمين إنها امـــــرأة واحـــدة في مملكة عريضة قوية وقفت وحدها في وسط ضغط المجتمع وضغط القصر وضغط الملك وضـغــط الحاشية ورفعت رأسها للسماء ! إنه التجرد الكامل من كل هذه المؤثرات والأواصر« (11).
وفي الحديث الشريف : »من قــاتــل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعصَبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقُتل فقِتْلةٌ جاهليةٌ« (12)، والعمية هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه.
وقال تعالى : ((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِـــاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ ولَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)) [المجادلة:22].
قال أهل العلم في سبب نزول هذه الآية: إنها نزلت في أبي عبيدة حين قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر حين دعا ابنه للمبارزة يوم بدر ، وفي عمر حيث قـتـل خاله العاص بن هشام يـوم بــدر ، وفي علي وحمزة حين قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر« (13).

لقد جمعت هذه العقيدة صهيباً الرومي وبلالاً الحبشي وسلمان الـفـارسـي وأبا بكر العربي القرشي تحت راية واحدة ، راية الإسلام ، وتوارت العصبية ، عصـبـية القبيلة والجنس والقوم والأرض وهاهو مربي هذه الأمة وقائدها -عليه الصلاة والسلام- يـعـلــم ويـربـى إذ يقول لخير القرون كلها مهاجرين وأنصار : »دعوها فإنها منتنة« .. وما هي ؟ صيحة نـادى بها أنصاري: ياللأنصار، وردَّ مهاجري: ياللمهاجرين فسمع ذلك رسول الله وقال: »ما بالُ دعوى جاهلية؟« قالوا: يا رسول الله كسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال : »دعوها فإنها منتنة« (14) . حقاً إنها منتنة ...
وقال صلى الله عليه وسلم: »ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية« (15).
فانتهى أمر هذا النتن ، وماتت نعرة الجنس واختفت لوثة القوم .. ومنذ ذلك اليوم لم يعد وطن المسلم هو الأرض ، وإنما وطنه هو دار الإسلام تلك الدار التي تسيطر عليها عقيدته وتحكم فيها شريعة الله وحدها (16).
روى ابن هشام (17) : »أن عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- قال لسعيد ابن العاص (ومر به) : إني أراك كأن في نفسك شيئاً أراك تظن أني قتلت أباك ! إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ،.. ولكنى قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة : فأما أبوك فإني مررت به ، وهو يبحث بحث الثور بروقه (أي بقرنه) فَحِدْتُ عنه .. وقصد له ابن عمه عليٌّ فقتله« . قتل عمر خاله ، وقتل على ابن عمه .. في سبيل الله ، إنه الانتماء إلى مجتمع العقيدة الذي ذابت فيه العصبيات كلها ، وانتهت رواسبها في مجتمع الطهر والتجرد ..
إذ غزوة بدر قاتل فيها القريب قريبه ، ولما خرج للمبارزة في هذه الغزوة بعض الأنصار .. نادى منادي قريش : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا .. ولما خرج حمزة وعلي وعبيدة -رضي الله عنهم-. قالوا : (أي قريش) نعم أكفاء كرام .. وقُتل عندها عتبة وشيبة والوليد من سادة قريش (18).
إن هذه الروح الإيمانية ، وهذا الانضواء تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، خلَّص المجتمع الجديد من عصبيات قاتلة ، بمجرد أن عاشوا حقيقة هذه الشهادة.
وإن الأخوة التي قامت بين المهاجرين والأنصار كانت دليلاً حاسماً على قيام دولة العقيدة ونشوء مجتمع قضى على رواسب العصبية الجاهلية.
وفي خطبة الوداع وضع المصطفى -صلى الله عليه وسلم- أسس التجمع العقيدي الصحيح إذ قال : »وكل دم في الجاهلية موضوع ، وأول دم أضعه : دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لم تضلوا كتاب الله .. وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت..« (19).

والشعر الإسلامي :

ساهم أيضاً في ترسيخ هذا البنيان الضخم ، حيث ألغى الإسلام العصبية ورابطة الجنس ، وصار الشعر يتمثل هذه القيم الجديدة الكريمة .. بعد أن كان سلاحاً يثير أحقاد القبائل.

فالعباس بن مرداس يقاتل بني عمه مخالفاً هواه مطيعاً ربه ودينه حيث يقول : (20)

ويوم حنين حين سارت هوازنٌ أمام رسول الله يخفق فوقنا إلينا
وضاقت بالنفوس الأضالع لواءٌ كخذروف السحابة لامع

و يقول :

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى مطالاً لكنا الأقربين تُتابع
ولكن دين الله دينَ محمد رضينا به فيه الهدى والشرائع

القبيلة وحدة اجتماعية يستفاد منها:

كنا قد ذكرنا أن الإسلام استفاد من رابطة القبيلة في نشر الدعوة ، واستخدمها مظلة واقية ضد ميزان المجتمع المتعصب .. إن الإفادة من الرابطة القبلية وصلة القربى لمصلحة الإسلام شئ ، والخضوع لهذه الرابطة المنحرفة الظالمة شئ آخر.

لقد استفاد الإسلام من الطاقات الطيبة كلها بما ينسجم مع تعاليمه ، إذ كانت كتائب الجهاد في الفتوحات الإسلامية تضم تكتلات قبلية تثار فيها الحماسة الصادقة ، والنخوة العربية خوفاً من العار ، إضافة لما جدَّ من استعلاء الإيمان ، وعقيدة الجهاد.

»إن قبائل المسلمين كانت تتحرك كوحدات حربية في الميدان .. إن ما أذابه الإسلام وقاومه هو العصبية القبلية والتفاخر بالأنساب ، ولكنه لم يحارب القبيلة في حد ذاتها ، كوحدة لها وجود عميق في البيئة العربية ، لقد ظلت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية ، والوحدة الحربية المعترف بها في الفتوح الأولى ، واستفاد الكيان الإسلامي من هذا الوجود إلى أقصى حد...«

»وفي معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب اختلطت صفوف المسلمين ، فصاح بهم خالد بن الوليد (أيها الناس تمايزوا حتى نعرف من أين نؤتى) فتميزت كل قبيلة في صفوفها وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، وراية الأنصار مع ثابت بن شماس"(21).

قال تعالى : ((وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)) [الحجرات 13].

ولو نظرنا إلى منازل القبائل العربية ، لوجدناها مطابقة لتعبئة خالد بن الوليد - رضي الله عنه- عند زحفه من البناج إلى الحيرة..

وفي كتب السيرة والفتوحات نلاحظ أن الخليفتين الراشدين الصديق والفاروق كانا يبعثان القبائل ويستعملان على كل قبيلة قائداً منها..

والجدير بالذكر أن المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله كان لهم وضع خاص فلم تكن لهم دائماً في الفتوح وحدات خاصة بهم من قبائلهم ، إنما كنا نجدهم في القيادات غالباً كخالد بن الوليد والنعمان بن مقرن وإخوانه (22). فالعقيدة تذيب العصبية ، وتستفيد من رابطة القرابة وتستعلي على المصلحة الشخصية والقبلية ، ويكون المسلم ضد هواه ، صلته بربه قوية ، علاقته مع إخوانه المؤمنين وطيدة.. وكلما ضعف رابط العقيدة ، وتخلخل صفاء التوحيد ، برزت العصبية من جديد ، والهوى والنزوات.. وسنرى في الصفحات القادمة كيف عادت العصبيات إلى المجتمع الإسلامى بنسب متفاوتة ، وخلال القرون المتوالية. (نعرضها بإيجاز بإذنه تعالى)

الهوامش :

1- انظر السيرة النبوية لابن هشام 1/315.
2- المصدر السابق 1/635.
3- المصدر السابق 1/292.
4- مختصر السيرة النبوية ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص 68-69.
5- القصيدة : في السيرة النبوية لابن هشام 1/272-280 (وفي طبقات فحول الشعراء ص 244 جزء 1 البيت الثاني من هذه الأبيات).
6- وردت (بسنة) في رواية أخرى.
7- تاريخ الإسلام السياسي : 1 / 65 د. حسن إبراهيم حسن.
8- حديث متفق عليه.
9- مسند الإمام أحمد 1 / 401 وفي مسند أبي داود : 7 / 17 مختصر المنذري . وقد سكت عنه المنذري.
10- 11- في ظلال القرآن : 4 / 1886 ، 6 / 3622.
12- صحيح مسلم بشرح النووي : 12 / 238.
13- أسباب النزول للواحدي ، ص 236 ، وتفسير ابن كثير (8 / 79) نقلاً عن كتاب الولاء والبراء ص 228.
14- صحيح البخاري : 48/648 ، ح 4905.
15- صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، ح 3 / 1476 ، ح 1848.
16- انظر : معالم في الطريق ، ص 143 ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص 142.
17- السيرة النبوية : 1 / 636.
18- انظر تفصيل المبارزة في : السيرة النبوية لابن هشام ، 1 / 625.
19- مختصر السيرة النبوية : الشيخ محمد بن عبد الوهاب : حجة الوداع ، ص 175.
20- شعر الدعوة الإسلامية ، قصيدة (501) : عبد الله الحامد ، والسيرة النبوية لابن هشام 2/464 (والمناسبة : أن بني سُليم جاهدوا يوم حنين

ومعهم شاعرهم عباس مع المسلمين يقاتلون هوازن وهوازن تجتمع وإياهم في النسب).
21- كتاب الطريق إلى المدائن : أحمد عادل كمال ، ص 43.
22- فتوح البلدان ، ص 304 نقلاً عن أحمد عادل كمال (الطريق إلى المدائن) ، ص 25.

يارب وفق دعاة الحق

شعر: قاسم بن عبده بن ملهي
بنى عزّ الدين العديني

الخير يا قوم بين الناس منتشر	والفضل يقبل في الساعات مرّات
يا رب وفق دعاة الحق قاطبة	وارزقهم الصبر في وجه الصعوبات
إن الدعاة وإن كنا نظنهمو	فينا قليلاً فقد جاءوا بخيرات
كم في المجلات والإفتاء فائدة	خصَّ "البيان" وقلبها صفيحات
ففي البيان كلام يستلذ به	قاري المجلة إن يفتح وريقات
وفي البيان كلام يطمئن به	قلب المحبين أو قلب المحبات
خصت مقالتها في حسن منهجها	فلا نظير لها في ذي المجلات
يا طالب الخير هلا قد مددت يداً	تبغي السلامة من لدغ لحيات
ما كل حمراء لحماً أنت ماضعه	أو كل بيضاء كانت من شحيمات
كم من مقال ولا يغني لقارئه	غير الهراء وتضييع لأوقات
كم من مقال وإن نقرأه كدّرنا	زور المميلين أو كذب المميلات
أهل البيان جزيتم كل مغفرة	فداوموا السير في حسن الصناعات
جزاكم الله كل الخير وانتبهوا	للمرسلين لمن يرسل بزلاّت
أبنتم الحق في تعداد أربعة	فكيف بالحق إن جئتم بعشرات
يا أيها الناس لا تنسوا لها عدداً	فإن رحلتم فخطوا في الوصيات
أستودع الله أهل الخير أجمعهم	مع السلام عليكم والتحيات

تمت بحمد الله